سلسلة شروحات كتب العقيدة والتوحيد (٣)

# الفوائد الممتازة بشرح الأصول الثلاثة

للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي

إعتنى بجمعه وشرحه

أبو عبد العزيز
تركي بن مسفر بن هادي العبديني

## مقدمة الشرح

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – تسليمًا مباركًا مزيدًا إلى يوم الدين.

**أما بعد:**

فمن المتون المفيدة المحررة كتاب: **«ثلاثة الأصول» أو «الأصول الثلاثة»** لداعية التوحيد الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، المتوفى سنة ست بعد المائة الثانية والألف (١٢٠٦هـ)من هجرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولاشتهار هذا الكتاب وعظيم فائدته للطلاب في التوحيد وما إليه ، كان العزم على شرحه شرحًا وافيًا لمعانيه، وتحقيقا لمسائله، وضبطًا وترتيبًا لفوائده، وقد قرأت كثيرًا من الشروح المفيدة عليه ولخصت أكثر هذا الشرح منها، وعولت على طائفة منها: كحاشية ثلاثة الأصول للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (ت ١٣٩٢هـ)، ولعله أول شرح عليه، وشرحي العلامة ابن باز، والعلامة العثيمين –رحمهما الله – وشروحات كلا من الشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبد المحسن بن محمد القاسم، والشيخ عبد الله بن صالح الفوزان، والشيخ عبد الله بن صالح القصير وغيرهم على الأصول الثلاثة.

ورجعت لفوائد جليلة منتخبة من كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وبعض الفوائد من كتب ابن رجب، وابن كثير، وغيرهم من العلماء، وسميت هذا الجمع: **«الفوائد الممتازة بشرح الأصول الثلاثة»**. أسأل الله أن ينفع بها كما نفع بأصلها، ويجزي علمائنا خيرًا على ما قدموه وبذلوه من العلم النافع، والذب عن دين الله، وبيان التوحيد.

فأشكر الله عز وجل على ما امتن به عليَّ من الهداية والتوفيق لدينه، وللعلم النافع، وأسأله أن يوفقني ويعينني على مرضاته وعلى العمل الصالح.

وأشكر لشيخنا العلامة الألمعي مقبل بن هادي الوادعي ما قدمه وبذله من جهود وإعانة لطلاب العلم، وقد نشر الله به خيرًا عظيمًا في البلاد اليمنية وأنا وغيري من الطلاب الأفاضل، والمشايخ الأكارم ثمرة من ثماره.

وأشكر لشيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري جهوده وقيامه بما خلفه عليه الإمام الوادعي، فحفظ الله به دينه، ومكن الله لأهل السنة والجماعة في البلاد اليمنية، فانتشر بذلك الخير العظيم بفضل جهوده العظيمة وجهود علماء السنة والجماعة، ومشايخها، ودعاتها، جعل الله ذلك كله في ميزان حسناتهم، ورزقنا وإياهم الثبات على هذا الدين.

**كتبه وحرره: أبو عبد العزيز العبديني**

**تركي بن مسفر بن هادي مجلي**

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

♦ اعْلَمْ (٢) رَحِمَكَ اللهُ (٣) أنه يجب علينا: تعلم أربع مسائل (٤).

(الأُولَى) الْعِلْمُ (٥).

أربع مسائل عملية الواجب تعلمها

---

(١) **ابتدأ المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة** اقتداءً بالكتاب العزيز، وتأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته، وسار عليه الأئمة والعلماء في تصانيفهم ومؤلفاتهم واستقر عليه عملهم. والبداءة بها للتبرك، والاستعانة.

(٢) **فعل أمر من العلم، وهو** حكم الذهن الجازم المطابق للواقع، أي: كن متهيئاً ومتفهماً لما يلقى إليك من العلوم. **وكلمة (اعلم)** يؤتى بها للاهتمام، والحث على تدبر ما بعدها، فيؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة الذي ينبغي للمتعلم أن يصغي إلى ما يلقى إليه منها، وما أقره المصنف هنا من أصول الدين حقيق بأن يهتم به غاية الاهتمام، ويعتني به أشد الاعتناء، ويصغى إليه حقيقة الإصغاء.

(٣) **دعاء لك بالرحمة**، أي: غفر الله لك ما مضى ووفقك وعصمك فيما يستقبل، وإذا قرنت الرحمة بالمغفرة فالمغفرة لما مضى، والرحمة: سؤال السلامة من ضرر الذنوب وشرها في المستقبل. وكثيراً ما يجمع -رحمه الله- عندما يرشد الطالب بتقرير الأصول المهمة- بينها وبين الدعاء له، وهذا من حسن عنايته ونصحه وقصده الخير للمسلمين.

(٤) **جمع مسألة، من السؤال**: وهو ما يبرهن عنه في العلم. والواجب: ما لا يعذر أحد بتركه. فيجب على كل فرد منا العلم بهذه الأربع المسائل.

(٥) **العلم**: هو معرفة الهدى بدليله. والعلم إذا أطلق فالمراد به العلم الشرعي الذي تفيد معرفته ما يجب على المكلف من أمر دينه. **والعلم الشرعي على قسمين**: فرض عين، وفرض كفاية. وما ذكر -رحمه الله- فهو فرض عين على الذكر والأنثى، والحر والعبد، لا يعذر أحد بالجهل به.

وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ (١)، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ (٢)، ومعرفة دين الإسلام (٣)

---

**قال أحمد:** يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه. قيل له: مثل أي شيء؟ قال: الذي لا يسعه جهله صلاته وصيامه ونحو ذلك. فما كان واجباً على الإنسان العمل به كأصول الإيمان، وشرائع الإسلام، وما يجب اجتنابه من المحرمات، وما يحتاج إليه في المعاملات، ونحو ذلك مما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب عليه العلم به، بخلاف القدر الزائد على ما يحتاج إليه المعين فإنه من فروض الكفايات الذي إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، ثم إن طلب العلم فيما هو فرض كفاية أفضل من قيام الليل وصيام النهار والصدقة بالذهب والفضة. قال أحمد: تعلم العلم وتعليمه أفضل من الجهاد وغيره مما يتطوع به.

**(١) وذلك** بالنظر في الآيات الشرعية من الكتاب والسنة، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، وهذه المعرفة تستلزم قبول ما شرعه الله تعالى والانقياد له.

**(٢) معرفة نبيه** -ﷺ- وهو الواسطة بيننا وبين الله في تبليغ رسالة الله، ومعرفته فرض على كل مكلف، وأحد مهمات الدين. وهذه المعرفة تستلزم قبول ما جاء به من عند الله تعالى من الهدى ودين الحق..

**(٣) الإسلام له معنيان: معنى عام ومعنى خاص. فالإسلام بالمعنى العام يراد به:** عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا دين الأنبياء عموماً، قال الله -ﷻ- عن التوراة وأنبياء بني إسرائيل: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة:٤٤]، فوصف الله -ﷻ- أنبياء بني إسرائيل بالإسلام مما يدل على أن الإسلام ليس خاصاً بهذه الأمة بل هو عام، وذكر الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس:٨٤]، ونحوها. فهذا هو الإسلام بالمعنى العام. **أما الإسلام بالمعنى الخاص فيراد به:** الدين الذي بعث الله نبيه محمداً به وجعله خاتمة الأديان لا يقبل من أحد دين سواه. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥]،

بالأدلة(١).

(الثانية): العمل به(٢).

---

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فهذه الآية تفيد أن الله تعالى ارتضى لهذه الأمة الإسلام ديناً، فيفسر بالمعنى الخاص.

(١) **الأدلة:** جمع دليل، والدليل فعيل بمعنى: فاعل، من الدلالة، وهي الإرشاد. فالدليل هو المرشد إلى المطلوب. وهو إما سمعي: وهو ما ثبت بالوحي من كتاب أو سنة. وإما عقلي: وهو ما ثبت بالنظر والتأمل. وهذا المقدار من العلم يجب تعلمه، وجهل الإنسان حقيقة ما أمر الله به من أعظم الإثم، والعمل بغير علم طريق النصارى، والعلم بلا عمل طريق اليهود، وقد أمرنا الله أن نسأله في كل ركعة أن يهدينا الصراط المستقيم، وهو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

**وقوله: (بالأدلة)** أي أن الثلاثة تكون مقرونة بالأدلة. فالباء هنا للمصاحبة.

لكن يجوز التقليد في علم العقائد، بشرط أن تجزم بما قلدت به، ولا يشترط أن تعرف الدليل.. قال الشيخ عبد الله أبا بطين: وفرض على كل واحد معرفة التوحيد وأركان الإسلام بالدليل، ولا يجوز التقليد في ذلك، **لكن العامي الذي لا يعرف الأدلة** إذا كان يعتقد وحدانية الرب سبحانه ورسالة محمد ﷺ ويؤمن بالبعث بعد الموت وبالجنة والنار وأن هذه الأمور الشركية التي تفعل عند هذه المشاهد باطلة وضلال فإذا كان **يعتقد ذلك اعتقادًا جازمًا** لا شك فيه فهو مسلم،وإن لم يترجم بالدليل لأن عامة المسلمين ولو لقنوا الدليل فإنهم لا يفهمون المعنى غالبًا.

(٢) **فالعمل: هو ثمرة العلم**، فلا بد مع العلم بدين الإسلام العمل به، فإن الذي معه علم ولا يعمل به شر من الجاهل. والمقصود: العمل بالمسائل الواجبة على المكلفين في دين الإسلام، وهي كل ما أوجبه الله -ﷻ- سواء أوجب فعله أم أوجب تركه، فيدخل في ذلك الفرائض والواجبات، والمحرمات والكبائر.

## (الثالثة): الدعوة إليه[(١)].

(١) الضمير في قوله (إليه) يعود على ما سبق، فإما أن يعود على العمل، وإما أن يعود على العلم، وإما أن يعود على العمل والعلم على حد سواء، وإرجاع الضمير إلى أقرب مذكور هو القاعدة كما هو معروف، ويجوز أن يرجع إلى كل ما ذكر سابقاً، فيشمل الدعوة إلى العلم والدعوة إلى العمل وهذا أوفق وأوسع.

فإذا حصل له بتوفيق الله العلم بدين الإسلام والعمل به فيجب عليه السعي في الدعوة إليه، كما هي طريقة الرسل وأتباعهم. وأعلى مراتب العلم: الدعوة إلى الحق وسبيل الرشاد، ونفي الشرك والفساد والتحذير منهما، فإنه ما من نبي يبعث إلى قومه إلا ويدعوهم إلى طاعة الله وإفراده بالعبادة، وينهاهم عن الشرك ووسائله وذرائعه، ويبدأ بالأهم فالأهم بعد ذلك من شرائع الإسلام.

**مسألة: على من تكون الدعوة؟**

على من تعلم العلم وقدر، فمن كان جاهلاً لا يجب عليه الدعوة ولكن يجب أن يتعلم أولاً ثم بعد ذلك يدعو. الدليل على وجوب الدعوة حديث معاذ "إنك تأتي.. فليكن.." الشاهد: "فليكن أول ما تدعوهم"اللام للأمر، والأمر يقتضي الوجوب.

والدليل الثاني: حديث علي"انفذ على رسلك" ثم قال "ثم ادعهم إلى الإسلام". هذا الشاهد وقوله: ادعهم أمر والأمر يقتضي الوجوب. والحديثان في الصحيحين.

**مسألة: لمن توجه الدعوة؟**

الجواب: يدعى الكافر، والمسلم الجاهل والمخطئ والمتأول والمعاند.

**مسألة: هناك فرق بين قوله "الدعوة إليه" ووجوب الدعوة؟**

معنى الدعوة إليه أي إلى العلم وبثه بين الناس، أما وجوب الدعوة مطلقاً فهي تشمل أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والنصح.

## (الرَّابِعَةُ): الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ(١).

---

(١) هذا الواجب الرابع: الصبر على الأذى في الدعوة إلى العلم والعمل.

**والصبر لغة:** الحبس والمنع. تقول: صبر فلان على أذى جاره، أي: حبس نفسه ألا يقابل الأذى بالأذى.

**واصطلاحاً:** حبس النفس عن التسخط، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود... وأمثال ذلك. **وَجِمَاعُه:** حبس النفس على موافقة الشرع.

**أي:** حبس النفس على طاعة الله تعالى فلا تملها وتتركها.

وعن معصية الله فلا تتجرأ عليها وترتكبها.

وعلى الأقدار المؤلمة والمصائب المحضة فلا تسخطها.

فتحبس النفس عن الجزع والتسخط.

وتحبس اللسان عن أقوال أهل الجاهلية، وعن الشكوى لغير الله.

وتحبس الجوارح عما يخالف الشرع.

فالصبر على هذا النحو من أعظم مقامات الدين وأقوى عُدد العاملين.

**و" الأذى"** الألف واللام للعموم.

**والأذى أنواع:** أذى بدني، أذى مالي، أذى كلامي نفسي.

فيصبر على ما يلقاه. وأفضل الصبر عند الصدمة الأولى ثم الاستمرار في الصبر.

فمن قام بدين الإسلام ودعا الناس إليه فقد تحمل أمراً عظيماً، وقام مقام الرسل في الدعوة، وقصد أن يحول بين الناس وبين شهواتهم وأهوائهم واعتقاداتهم الباطلة، فحينئذ لابد أن يؤذوه، فعليه أن يصبر ويحتسب. وهذه الأربع أوجب الواجبات.

**وقوله: "فيه"** الضمير يعود إلى العلم أي يصبر على ما يواجهه في طلب العلم وما يصيبه من أذى في نشر العلم والعمل به.

◘ وَالدَّلِيلُ (١) قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ (٢) ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ (٣) ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ (٤) وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ (٥). [العصر: ١ - ٣].

---

(١) أي على كون تلك الأمور الأربعة من المسائل هن مسائل واجبة لا بد منها.

(٢) ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ أقسم الله تعالى بالعصر، وهو الدهر، زمن تحصيل الأرباح والأعمال الصالحة للمؤمنين، وزمن الشقاء للمعرضين، ولما فيه من العبر والعجائب للناظرين.

(٣) أي: جنس الإنسان من حيث هو إنسان في خسارة في مسعاه ولابد، إلا من استثنى الله في هذه السورة، وهو من قام بهذه الخصال: الإيمان بالله، والعمل الصالح في نفسه، وأمر غيره به، والصبر على ما ناله فيه.

(٤) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ استثنى ﷻ الذين آمنوا فإنهم ليسوا في خسر، ففيه ما يوجب الجد والاجتهاد في معرفة الإيمان والتزامه، وفيه العلم، فإنه لا يمكن العمل بدون علم، وفيه حياة الإنسان ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: ليسوا في خسر، بل فازوا وربحوا، لأنهم اشتروا الآخرة الباقية بالدنيا الفانية، وفيه الحض على العلم، فإن العامل بغير علم ليس من عمله على طائل، وفيه العمل وهو ثمرة العلم.

(٥) ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أوصى بعضهم بعضاً بالإيمان بالله وتوحيده، وبالكتاب والسنة والعمل بما فيهما، ومنه الدعوة إليه. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي: على أداء الفرائض، وإقامة أمر الله وحدوده. ويدخل فيه الحق الواجب والمستحب، وفيه الصبر على الأذى فيه، فإن من قام بالدعوة إلى الله فلا بد أن يحصل له من الأذى بحسب ما قام به.

**هل هناك تلازم بين المسائل الأربع؟** أي أن الإنسان لا يدعو بدون علم أو لا يدعو إلا بعد العمل.

**التلازم بين العلم والعمل** فلا بد منه، فلا عمل بدون علم ولا علم بدون عمل، ويدل عليه﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ علموا ولم يعملوا، وهم اليهود﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ عملوا بدون علم.

**أما التلازم بين العمل والدعوة** فليس هناك تلازم بمعنى إنه لا يدعو إلا ما عمل به، أو لا يتعلم إلا ما يدعو إليه بل لا يلزم ذلك. بل الإنسان يدعو بالذي عمل به والذي لم يعمل به فلو كان يعلم أن هذا حرام فيجب عليه أن يدعو إلى تركه وإن كان يعمله. والسبب لأن الذي دعا وقع في الخطيئة وهي عدم العمل بما دعا به وعمل واحدة وهي أنه دعا. وأما الذي لم يدع وقع في خطيئتين لم يعمل ولم يدع. **وفي هذه السورة الكريمة:** التنبيه على أن جنس الإنسان كله في خسار إلا من استثنى الله، وهو من كمل قوته العلمية بالإيمان بالله، وقوته العملية بالطاعات، فهذا كماله في نفسه ثم كمل غيره بوصيته له بذلك وأمره به، وبملاك ذلك وهو الصبر، وهذا غاية الكمال. ومعنى ذلك في القرآن كثير.

**فائدة: قال ابن القيم: جهاد النفس أربع مراتب: أحدها** أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين. **الثانية**: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بدون عمل إن لم يضرها لم ينفعها. **الثالثة**: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيّنات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله. **الرابعة**: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله. **فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين**، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به، ويعلمه، فمن علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء.

♦ قال الشافعي رحمه الله(١): لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ(٢).

♦ وَقَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله(٣): بَابُ العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ.

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ(٤).

---

(١) (الشافعي) هو محمد بن إدريس القرشي، الإمام الشهير، المتوفى سنة أربع ومائتين، ومقولة الشافعي نقلها ابن القيم في إغاثة اللهفان وابن كثير في تفسيره «لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم» وهي أقرب من العبارة التي أثبتها المصنف.

(٢) قوله:(لكفتهم) أي: لعظم شأنها مع غاية اختصارها، لو فكر الناس فيها لكفتهم، لجمعها للخير بحذافيره، فإنها دلت على العلم، والعمل، والدعوة إلى الحق، والصبر على الأذى فيه، فتضمنت جميع مراتب الكمال الإنساني، فهي حقيقة بأن يقال فيها ما قاله هذا الإمام الجليل.
قال شيخ الإسلام: هو كما قال، فإن الله أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحا، ومع غيره موصياً بالحق موصياً بالصبر.

(٣)(البُخَارِيُّ) هو محمد بن إسماعيل، جبل الحفظ، صاحب الصحيح الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله، المتوفى سنة مائتين وست وخمسين رحمه الله.

(٤) (بَابُ العِلْمُ قَبْلَ القول والعمل) ترجم رحمه الله بالبداءة بالعلم، لأن تعلم العلم الفرض مقدم على القول والعمل، وذلك أن قول المرء وعمله لا يصلح إلا إذا صدر عن علم، وفي الحديث: "**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**". وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على خلقه وخلقهم لها إلا بالعلم؟

الثلاث مسائل الواجب
تعلمهن والعمل بهن

♦ اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل والْعَمَلُ بِهِنَّ(١).

الأولى: توحيد الربوبية

(الأُولَى): أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا(٢).

---

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] استدل المصنف رحمه الله بهذه الآية الكريمة على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل، كما استدل بها البخاري رحمه الله على صحة ما ترجم به، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بأمرين: بالعلم ثم بالعمل، والمبدوء به العلم في قوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ثم أعقبه بالعمل في قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ فدل على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبر إلا به، فهو مقدم عليهما، لأنه مصحح النية المصححة للعمل.

(فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ): حيث قال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ثم قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم.

(١) (يَجِبُ عَلَى كُلِّ مسلم ومسلمة) مكلف من ذكر وأنثى، حر وعبد، وجوباً عيناً، يعاقب المرء على تركه. (تعلم... والْعَمَلُ بِهِنَّ) أي: معرفتها، واعتقاد معانيهن، والعمل بمدلولهن، فإن العمل هو ثمرة العلم. وهذه المسائل علمية، والتي قبلها عملية.

(٢) (خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا) أي: أوجدنا بعد أن لم نكن شيئاً لعبادته، ورزقنا النعم لنستعين بها على ما خلقنا له. (ولم يتركنا هملا) أي: مهملين معطلين سدى، شبه البهائم لا نؤمر ولا ننهى، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً (١).

فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ (٢)، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّار (٣)

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ (٤)[المزمل: ١٥ - ١٦]

---

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

(١) هو محمد ﷺ، أرسله بالهدى ودين الحق.

(٢) (فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ) لأن طاعته طاعة لله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[النور: ٥٢].

(٣) (وَمَنْ عَصَاهُ دخل النار) أعاذنا الله منها ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤] وقد أمرنا الله بطاعته ونهانا عن معصيته في غير موضع من كتابه.

(٤) ﴿رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: معشر الثقلين بأعمالكم يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ:: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ عدلاً خياراً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة ١٤٣] ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى كليم الرحمن عليه السلام كما أخبر الله به في غير موضع من كتابه. ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي عصى فرعون رسول الله موسى عليه السلام وأبى إلا التمادي في الكفر والطغيان. ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ شديدًا مهلكًا، وذلك بإغراقه وقومه في البحر فلم يفلت منهم أحد، ثم بعد ذلك في عذاب البرزخ إلى يوم القيامة ثم على عذاب النار.

(الثَّانِيَةُ): الثانية: توحيد الألوهية

**أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ معه في عبادته أحد لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ (١).**

---

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، أي يعرضون عليها في البرزخ يعذبون بها ﴿غُدُوًّا﴾ أول النهار ﴿وَعَشِيًّا﴾ آخره ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. فهذه عاقبة العاصين للرسل، وجزاء المخالفين لأمرهم، أي: فاحذروا أنتم أيها الأمة أن تعصوا نبيكم محمد ﷺ فيحل بكم، كما حل بهم من عقاب الله وأليم عذابه في الدنيا والبرزخ في الآخرة، نعوذ بالله من ذلك.

**وإنما مثل بآل فرعون ـ كما قاله جمع من المفسرين ـ لعلتين: الأولى:** شهرة خبر فرعون عند المشركين، وضَرْب الأمثال بما هو معلوم عند المخاطب ومشهور عنده هو عين المقصود، ولذلك ضَرَب الله -ﷻ- بآل فرعون مثلاً تهديداً وتخويفاً بنزول العذاب والعقاب.

**والعلة الثانية:** أن فرعون كان كبيراً عالياً بطغيانه؛ فلكونه كان من أعلى الطغاة الذين أنكروا الإلهية لله -ﷻ-، وعصوا الرسول موسى عليه السلام مع كونه قد أردف بوزير آخر، وهو هارون عليه السلام، فدل ذلك على عظيم ما وقع فيه وعليه.

**(١) (الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ)**: فهو سبحانه المستحق لها وحده، ومن سواه لا يستحق شيئاً منها. ولأن الشرك أظلم الظلم قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. وسمى الله المشرك ظالماً، لأنه وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها، وأخبر تعالى أنه لا يرضى لعباده الكفر، وإنما يرضى لهم الإسلام، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وفي الحديث: "**إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه، ولا** تشركوا به شيئاً.. " الحديث.

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١)﴾[الجن: ١٨].

(الثَّالِثَةُ) أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ (٢) لا يجوز له موالاة (٣)

---

(لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبي مُرْسَلٌ) أي: لا يرضى سبحانه أن يجعل له شريك في عبادته، لا ملك مقرب عنده ولا نبي مرسل، يعني: فضلاً عن غيرهما من سائر المخلوقات. فإذا لم يرضَ بعبادة من كان قريباً منه كالملائكة. ولا نبياً مرسلاً -وهم أفضل الخلق- فغيرهم بطريق الأولى، لأن العبادة لا تصلح إلا لله وحده، فكما أنه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير فهو المستحق للعبادة وحده دون من سواه.

(١) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أي: وأن المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله، أو أعضاء السجود: لله فلا تعبدوا - نهي عام لجميع الخلق الإنس والجن- فيها، أو بها - مع الله- أحداً. و﴿أَحَدًا﴾ نكرة في سياق النهي شملت جميع ما يدعى من دون الله، سواء كان المدعو من دون الله صنماً، أو ولياً، أو قبراً، أو جنياً، أو غير ذلك، فإن دعاء غير الله هو الشرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر إلا بالتوبة منه، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

(٢) (الثَّالِثَةُ): أي: المسألة الثالثة التي يجب على المكلف معرفتها، واعتقادها، والعمل بموجبها: أن من أطاع الرسول فيما أمر به، واجتنب ما نهى عنه ووحد الله في عبادته.

(٣) (لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةٌ): بل يجب عليه أن يقاطعهم ويعاديهم أشد المعاداة. والمحادّون لله قد حرم الله موالاتهم على كل مسلم ومسلمة. والموالاة: الموادة، والصداقة، ضد المعاداة. والمحادة هي: المجانبة والمخالفة والمغاضبة والمعاداة. ولها أيضاً عند أهل العلم معنيان: أحدهما: أن الكفار كانوا في حد، والمؤمنون في حد، المؤمنون في حد الله ورسوله، وهو الإيمان، والمشركون في حد إبليس وجنوده، وهو الكفر.

والقول الثاني: أنه ليس بين الكافرين والمسلمين إلا الحديد. يعني القتال بالحديد..

من حاد الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ(١).

الثالثة: الولاء والبراء

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. (٢).

---

(١)(ولو كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ) أي: ولو كان من حاد الله ورسوله ابنك أو أباك أو أخاك.

(٢) هو خطاب للنبي ﷺ أنه لا يجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر الإيمان الواجب ﴿يُوَادُّونَ﴾ أي: يوالون ويحبون من حاد الله ورسوله، وهم الكافرون، وإن كانوا أقرب قريب، فلا يجتمع الإيمان ومحبة أعداء الله ، ولا ريب أن الإيمان الواجب يوجب محادة من حاد الله ورسوله، كما أنه يستلزم محبة من يحب الله ورسوله وموالاتهم، فمن والى الكافرين فقد ترك واجباً من واجبات الإيمان، واستحق أن ينفي عنه الإيمان كما في النصوص. وكذا من ترك موالاة المؤمنين فقد ترك واجباً من واجبات الإيمان، واستحق أن ينفي عنه الإيمان ولا يلزم من نفيه عنهم أن ينتفي بالكلية. ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: أولئك الذين لم يوادوهم جمع في قلوبهم الإيمان وجعله راسخاً ثابتاً، ولذاك عادوا الكفار، وإن كانوا قرباء منهم. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: قواهم بنصره منه، ونور قلوبهم بالإيمان، والقرآن وحججه، وسمى نصره إياهم روحاً. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ أي يسكنهم جنات في دار كرامته التي أعدت للمتقين، وسميت باسم البساتين، لأنها أشجار مثمرة، وأنهار جارية، وقصور عالية تجري من تحت أشجارها ومساكنها المياه في الأنهار.

♦ اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ(١) :

أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ(٢).

---

**والجنة**: اسم لدار جمعت أنواع النعيم الذي أعلاها النظر إلى وجه الله الكريم. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ دائمين ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾. وهذا أعلى مراتب النعيم، وفيه سر بديع، وهو أنهم لما أسخطوا القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضى عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم والفضل العميم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ أي: الموالون أولياء الله المعادون أعداء الله هم حِزْبَ اللَّهِ وأنصاره في أرضه، وعباده المقربون، وأهل كرامته، وهم الفائزون في الدنيا والآخرة، الناجون يوم القيامة. وظهر بهذا أنه يجب على كل مسلم مقاطعة المشركين ومنابذتهم.

**(١) قوله: (أَرْشَدَكَ اللهُ):** دعاء للمُتَعَلِّم بأن يَهْديه الله إلى طاعته سبحانه ويوفقه لسلوك سبيلها. **وعرف –الرشد– ابن رجب** بأنه طاعة الله ورسوله. **وقسم ابن رجب الناس ثلاثة أصناف:** راشد، وغاو، وضال، فالراشد عرف الحق واتبعه، والغاوي عرفه ولم يتبعه، والضال لم يعرفه بالكلية، فكل راشد فهو مهتد، وكل مهتد هداية تامة فهو راشد؛ لأن الهداية إنما تتم بمعرفة الحق والعمل به أيضًا. **فالرشد** هو العلم بما ينفع، والعمل به، **والرشد، والهدى إذا أفرد كل منهما تضمن الآخر، وإذا قرن أحدهما بالآخر فالهدى هو** العلم بالحق، **والرشد هو** العمل به، وضدهما: الغي واتباع الهوى. **وقوله: (لِطَاعَتِهِ): (الطاعة):** موافقة أمر الشرع بفعل المأمور، وترك المحظور. وهي إذا أضيفت لله كانت بمعنى العبادة، ولا فرق بينهما، وقد تضاف إلى غير الله.

وتجوز الطاعة لغير الله تعالى لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء:٥٩]، أما العبادة فلا تجوز لغيره سبحانه.

**(٢) أي:** الحنيفية طريقة وشريعة الخليل إبراهيم وجميع الأنبياء عليهم السلام، هي ما قررها المصنف: أن تعبد الله مخلصاً له الدين، **فهذه هي حقيقة ملة إبراهيم** عبادة الله بالإخلاص.

♦ وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا(١).

◘ كَمَا قَالَ تَعَالَى:: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

♦ وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ(٢).

---

**والإخلاص**: حب الله وإرادة وجهه. وعبادة الله بالإخلاص وترك ما سواه هي المذكورة في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وفي قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، **والحنيف**: مشتق من الحنف، وهو الميل.

**فالحنيف**:المائل عن الشرك قصداً إلى التوحيد **والحنيف**: المستقيم المستمسك بالإسلام،المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه،وكل من كان على دين إبراهيم عليه السلام.

**(١) (وبذلك أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ)** أي: وبالإخلاص في جميع ما تعبدنا الله به، الذي هو ملة إبراهيم أمر الله بها جميع الناس، وخلق لها جميع الثقلين الجن والإنس.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: ما أوجد ﷻ الثقلين إلا لحكمة عظيمة، وهذه الحكمة العظيمة هي عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، وأفادت أن الخلق لم يخلقوا عبثاً ولم يتركوا سدىً. **ومعنى** ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا لأمرهم وأنهاهم.

**(٢) (يُوَحِّدُونِ) قال ابن عباس**: كل موضع في القرآن ﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ** ﴾ فمعناه: وحدوا الله. وجاء أيضاً عبادة الله توحيد الله. **والعبادة في اللغة**: التذلل والخضوع، من قولهم: طريق معبد، أي: مذلل قد وطأته الأقدام، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات، لأنهم يفعلونها لله خاضعين ذالين، **وأما في الاصطلاح** فترجع إلى معنى عام وهو توحيد الله وإفراده في الذل والخضوع مع كمال الحب والطاعة.

♦ وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ(١).

♦ وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ. وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ(٢).

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾(٣) [النساء: ٣٦].

---

(١) (وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التوحيد) وهو أعظم فريضة فرضها الله على العباد علماً وعملاً، ولأجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه تكفر الذنوب، وتستوجب الجنة، وينجى من النار. (وهو: إفراد الله بالعبادة) والتوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وهو: العلم أن الله رب كل شيء وخالقه. والثاني: توحيد الأسماء والصفات، وهو: أن يوصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ. والثالث: توحيد الإلهية، وهو إخلاص العبادة لله وحده بجميع أفراد العبادة.

(٢) (وأعظم مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ) فالشرك بالله هو أعظم ذنب عصي الله به، وأي ذنب أعظم من أن يجعل مع الله شريك في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه أو صفاته، وكما أن الشرك أظلم الظلم، وأبطل الباطل، فهو هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين، وهو أقبح المعاصي، لأنه تسوية للمخلوق الناقص بالخالق الكامل من جميع الوجوه. (وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ معه) أي: طلب غير الله مع الله، وسؤال غيره معه - من ملك، أو نبي، أو ولي، أو شجر، أو حجر، أو قبر، أو جني- والاستعانة به، والتوجه إليه، وغير ذلك من أنواع العبادة.

والأشمل في تعريف الشرك أن يقال هو: تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله.

(٣) يأمر سبحانه عباده بعبادته وحده لا شريك له، فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً. و﴿شَيْـًٔا﴾ نكرة في سياق النهي، فتعم الشرك قليله وكثيره، وقرن سبحانه العبادة التي فرضها على عباده بالنهي عن الشرك الذي حرمه. فدلت على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة، وتسمى هذه الآية: آية الحقوق العشرة، لأنها اشتملت على حقوق عشرة: أحدها: الأمر بالتوحيد.

♦ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ (١).

الأصل الأول

♦ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ (٢).

---

ثم عطف عليه التسعة الباقية. وابتداؤه تعالى بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك أدل دليل على أنه هو أهمها، فإنه لا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، فدلت على أن التوحيد أوجب الواجبات، وأن ضده هو الشرك أعظم المحرمات.

**(١)** أي: إذا سألك سائل، فقال لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على كل مكلف معرفتها والعمل بمقتضاها؟ **(فقل معرفة العبد ربه)** أي: بما تعرف به إلينا في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ومن وحدانيته، وأسمائه، وصفاته. وهذا أصل الأصول، فيجب علينا أن نعرفه على بصيرةٍ ويقين. **(ودينه)** الذي تعبدنا به، وهو فعل ما أوجب علينا أن نفعله، وترك ما أوجب علينا أن نتركه، وهذا أصل عظيم فيجب علينا معرفته. **(ونبيه)** فإنه الواسطة بيننا وبين الله ﷻ، ولا طريق لنا إلى ما تعبدنا به إلا بما جاء به ﷺ، وهو إن كان بشراً فأهمية معرفته من أهمية معرفة مرسله وما أرسل به. وذكر المصنف رحمه الله هذه الأصول الثلاثة مجملة، ثم ذكرها بعد ذلك مفصلة أصلاً أصلاً، تتميماً للفائدة، وتنشيطاً للقارئ، فإنه إذا عرفها مجملة وعرف ألفاظها وضبطها بقي متشوقاً إلى معرفة معانيها.

**(٢) (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟)** هذا شروع في تفصيل الأصول الثلاثة التي تقدمت مجملة ذكرها هنا مفصلة، فكأنه قال: الأصل الأول من أصول الدين الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها،

◘ وَالدَّلِيلُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وكل ما سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ(١).

---

إذا قال لك قائل: من ربك؟ أي: من خالقك ورازقك ومعبودك الذي ليس لك معبود سواه؟ **(فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي)** أي: فقل ربي هو إله خالقي ومالكي ومعبودي الذي أوجدني من العدم، ورباني بالنعمة الظاهرة والباطنة. **(وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ)** أوجدهم وغذاهم بالنعم. ونعم الله لا تحصى، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]. فلله نعمة الإيجاد، ونعمة التغذية، وسائر نعمه الظاهرة والباطنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] أي: مضى عليه زمن طويل من العصور والدهور لم يكن فيها شيئاً مذكوراً، أي: موجوداً بل معدوماً، وإنما أوجده الله وخلقه ورزقه من النعم، ليعبده وحده.

**(وهو معبودي ليس لي معبود سِوَاهُ)** أي: هو وحده مألوهي لا غيره، كما أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير، فهو وحده المستحق بأن يعبد وحده دون سواه، وهذا مدلول كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله).

**(١)** هذا الدليل على أن الله تعالى هو المستحق للعبادة لكونه ﷻ مربياً لجميع العالمين، **(والحمد)**: هو الثناء على المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه.

**و(رب العالمين)** أي: خالقهم ومدبر شؤونهم المتصرف بأحوالهم وأرزاقهم.

**(وكل ما سوى الله عالم)** فيقال: عالم الإنسان، وعالم الحيوان، وعالم النبات، وسمي العالم عالماً؛ لأنه علامة على خالقه وموجده ومالكه. **و(العالم)** جمعه: عوالم وعالمون، فالوجود قسمان: رب، ومربوب. فالرب: هو المالك سبحانه، المتفرد بالربوبية والإلهية، والمربوب: هو العالم، وهو كل من سوى الله من جميع الخلائق. **(وأنا واحد من ذلك العالم)** أي: أنا مربوب لله تعالى؛ لأن الله تعالى هو ربي، ومعنى "مربوب"، أي: مخلوق لله تعالى، وهو الذي رباني ﷻ.

♦ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا (١).

---

(١) (فإذا قيل لك: بما عَرَفْتَ رَبَّكَ؟) أي: فإذا قال لك قائل: بما استدللت على معرفتك ربك ومعبودك وخالقك؟ (فَقُلْ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ) أي: فقل: عرفته بآياته ومخلوقاته التي نصبها دلالة على وحدانيته وتردده بالربوبية والإلهية، والآيات: جمع آية، والآية: العلامة والدلالة والبرهان والحجة. والمخلوقات: جمع مخلوق وهو ما أوجد بعد العدم، وآيات الرب سبحانه هي دلالاته وبراهينه التي بها يعرفه العباد، ويعرفون أسمائه وصفاته وتوحيده وأمره ونهيه، وآياته العيانية الخلقية، والنظر فيها والاستدلال بها يدل على ما تدل عليه آياته القولية والسمعية، والرسل تخبر عنه بكلامه الذي تكلم به وهو آياته القولية، ويستدلون على ذلك بمفعولاته ومخلوقاته التي تدل تشهد على صحة ذلك، وهي آياته العيانية المشاهدة، والعقل يجمع بين هذه وهذه، فيجزم بصحة ما جاءت به الرسل، فتتفق شهادة السمع والبصر، والعقل والفطرة، وكل شيء من آياته ومخلوقاته دال على وحدانيته وتفرده بالربوبية. فإيجاد هذه المخلوقات أوضح دليل على وجود الباري تعالى وتفرده بالربوبية والإلهية.

ونعرف ربنا تبارك وتعالى أيضاً بصدق الرسول ﷺ بالطرق الدالة على ذلك كالمعجزات.

(وَمِنْ آيَاتِهِ) أي: ومن أعظم آياته المشاهدة بالأبصار (الليلُ والنهارُ) وكون الليل يأتي على النهار فيغطيه وكأنه لم يكن، ثم يأتي النهار ويذهب بظلمة الليل حتى كأن الليل لم يكن، فمجيء هذا وذهاب هذا بهذه الصفة وهذه الصورة المشاهدة دال أعظم دلالة على وحدانية خالقه وموجده. (والشمس والقمر) أي: ومن أعظم آياته المشاهدة بالإبصار الشمس والقمر..

■ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (١) [فصلت: ٣٧].

---

وكونهما يجريان هذا الجريان المتقن ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] دال أعظم دلالة على وحدانية موجدهما تعالى وتقدس.

**(ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما)** أي: ومن أعظم مخلوقات الله الدالة على وحدانيته تعالى السماوات السبع وسعتها وارتفاعها، والأرضون السبع وامتدادها وسعة أرجائها، وما في السماوات السبع من الكواكب الزاهرة، والآيات الباهرة، وما في الأرضين السبع من الجبال والبحار، وأصناف المخلوقات من الحيوانات والنباتات وسائر الموجودات، وما بين السماوات والأرض من الهواء والسحاب، وغير ذلك دال على وحدانية الباري ﷻ، وتفرده بالخلق والتدبير.

**(١) أي**: ومن حجج وحدانيته تعالى وبراهين فردانيته الدالة على ما ذكره المصنف، ما تعرف به تعالى إلينا بما نراه من مخلوقاته، ومنها الليل والنهار، فمجيء هذا وذهاب هذا من دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته، والشمس والقمر مخلوقان مسخران دائبان بجريان دالان على تفرده تعالى بالخلق والتدبير. وهذا وجه استدلال المصنف بالآية هٰهنا ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لأن السجود عبارة عن نهاية التعظيم، والشمس والقمر مخلوقان متصرف فيهما، يعتريهما التغير فلا يستحقان أن يسجد لهما. ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أمر عباده أن يفردوه بالعبادة وحده، فكما أنه المتفرد بخلق الليل والنهار والشمس والقمر، وسائر المخلوقات، فهو المستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. (١).

---

(١) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: ومن أعظم الدلائل والمعرفات التي تعرف بها سبحانه على عباده خلق السماوات والأرض من غير مثال سبق، وتقدير أوقاتها فيها في ستة أيام، وأصل الخلق إيجاد المعلوم على تقدير واستواء، وإبداعه من غير أصل سابق ولا ابتداء متقدم.﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق بجلاله وعظمته. قال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وبهذا قال السلف، وأدلة علوه على خلقه واستوائه على عرشه أكثر من أن تحصر، وأجمع المسلمون على ذلك.﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بالليل فيغطي النهار ويلبسه إياه حتى يذهب بنوره ويغشى النهار بالليل ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ طلباً سريعاً لا يفصل بينهما شيء ولا يدرك أحدهما الآخر ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: مذللات جارية في مجاريها بأمر الله لا تتقدم ولا تتأخر، وإذا تأملت هذا العالم وجدته على أحسن نظام وأتمه، وأدله على وجود خالقه جل وعلا، ووحدانيته وقدرته، وكمال علمه وحكمته.﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ فهو المتفرد بالخلق، كما أنه المتفرد بالأمر، فلا شريك له في الخلق، كما أنه لا شريك له في الأمر، له الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

**والأمر يأتي على معنيين:**

**الأول**: الأمر الشرعي الديني.

فالله ﷻ هو الذي يأمر كيف يشاء وبما شاء ﷻ وغيره أمره محكوم ومهيمن.

**والثاني**: فالأمر الكوني القضائي القدري.

♦ وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ(١).

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] (٢).

---

إلا أن اجتماع الخلق مع الأمر يقتضي التفريق بينهما إذا أعملت قاعدة الأصل في المعطوفات المغايرة، فيقال الخلق غير الأمر، فالأمر يكون محصوراً بالأوامر الشرعية الدينية. وأما الخلق فيتعلق بما يكون، أي بما يخلقه الله -ﷻ- وأفعال العباد وما في الوجود كله خلقه الله -ﷻ-. ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: بلغ في البركة نهايتها، إله الخلق ومليكهم، وموصل الخيرات إليهم، ودافع المكاره عنهم، والمتفرد بإيجادهم وتدبيرهم، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

(١) (والرب: هو الْمَعْبُودُ) أي: المستحق لأن يعبد دون سواه، وليس المراد أن من معاني الرب: المعبود، وإلا لزم منه أن كل ما عبد من دون الله فهو رب وهذا ليس بصحيح. والمصنف رحمه الله لم يقصد أن من معاني "الرب": المعبود، وإنما قصد أن الرب هو المستحق لأن يعبد؛ لأنه بعد أن ساق الآية من سورة البقرة ذكر كلاماً لابن كثير رحمه الله وهو قوله: "الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة".

(٢) وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ هذا خطاب لجميع الخلق، وهو أول أمر يمر بك في المصحف الكريم، كما أن أول فعل يمر بك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وتقديم المعمول هنا يفيد الحصر، أي: لا نعبد سواك، كما أن أول شيء دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢] ومعنى ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ ومعنى قول الرسول ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، ومعنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هو ما فسره ابن عباس بقوله: كل موضع في القرآن ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ فمعناه: وحدوا الله، وقال: عبادة الله: توحيد الله، يعني: اعبدوه وحده دون كل من سواه.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) [البقرة: ٢٢].

---

وهذا يفيدك: عظم شأن التوحيد، وأنه أوجب الواجبات، وأنه أول فرض على المكلف علماً وعملاً، وهو مدلول شهادة (أن لا إله إلا الله)، التي أوجب الواجبات العلم بمعناها، والعمل بما دلت عليه، من إفراد الله بالعبادة والبراءة من الشرك وأهله.

(١) ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ أي: بسطاً غير حزنة، تتمكنون من المسير فيها، والمكث على ظهرها، وتنتفعون منها بأنواع المنافع. ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ قبة مضروبة عليكم، وسقفاً محفوظاً مزيناً بالمصابيح، والعلامات التي تهتدون بها في ظلمات البر والبحر. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: وأنزل من السحاب المطر، فإن كل ما علاك فهو سماء، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ فأخرج بالماء من جميع أنواع الثمرات رِزقاً لَكم تتمتعون به، وتستعينون به على عبادته وحده، وكل صفة من هذه الصفات مفيدة ومقتضية إفراد رب العالمين بالعبادة. ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ومن كان هذا وصفه فهو المستحق أن تعبدوه وحده، لا تجعلوا له أنداداً: أمثالاً ونظراء بصرف شيء من أنواع العبادة لهم، وأنتم تعلمون أنها لا تماثله بوجه من الوجوه، أو كنتم تعلمون تفرده بإيجاد المخلوقات، وإنزال المطر، وجعل الأرض فراشاً، والسماء بناء، وأنه لا يرزقكم غيره، يحتج تعالى عليهم بما أقروا به وعلموه من توحيد الربوبية على ما جحدوه وأنكروه من توحيد الألوهية، فإنه تعالى كثيراً ما يقرر في كتابه توحيد ألوهيته بتوحيد ربوبيته، فإن توحيد الربوبية هو الدليل الأوضح والبرهان الأعظم على توحيد الألوهية.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله: الخَالِقُ لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة (١).

♦ وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا(٢): مِثْلُ الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ(٣). وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ(٤)، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ،

---

(١) (قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الحافظ صاحب التفسير المشهور والتاريخ وغيرهما، المتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

والعبارة ليست بلفظها، وإنما لخص المصنف رحمه الله مقصود ابن كثير في هذه العبارة الوجيزة، وقد جوز جمهور المحدثين حكاية أحاديث النبي -ﷺ- بالمعنى وفق شروط وضوابط، فغير كلام النبي -ﷺ- من باب أولى.

(٢) أي: وأصناف العبادة التي شرع الله لعباده القيام بها، وتعبدهم بها. والنوع: كل ضرب أو صنف من كل شيء.

(٣) مثل الشيء: شبيهه ونظيره، وهذه الثلاثة أعلى مراتب الدين، وأهم أنواع العبادة، فلذلك بدأ بها المصنف رحمه الله.

(٤) **الدعاء لغة:** هو النداء والطلب، **وشرعاً:** سؤال العبد ربه - عن رغبة ورهبة - جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره في العاجل والآجل أو هو سؤال الحاجة من أمر الدنيا والآخرة، **والدعاء نوعان:**

**الأول: دعاء ثناء** وهو أن يثني العبد على الله تعالى بصفات كماله ونعوت عظمته وجلاله كأن يقول: لا إله إلا الله أكبر كبيراً، الحمد لله كثيراً، سبحان الله العظيم فيثنى على الله تعالى بهذه الكلمات ونحوها مثل يا رب العالمين يا أرحم الراحمين تعبداً لله تعالى أي طلباً لثوابه أو توسلاً إلى الله تعالى في التماس حاجته.

**الثاني: دعاء مسألة** وهو طلب العبد الحاجات من الله تعالى وبهذا صار دعاء عبادة لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى، كأن يقول: ربي اغفر لي، وارحمني، وارزقني، وعافني،

وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلُّهَا للهِ(١).

◘ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

♦ فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ(٢).

---

وهكذا واللجوء إليه واعتقاد أنه يقضي الحاجة لإحاطة سمعه وبصره وعظم غناه وسعة جوده وفضله وكمال قدرته. **وقد ذكر الشيخ** -رحمه الله- **– الدعاء (أولاً)**، لأن أكثر الشرك الواقع من الناس فيه فهو أكثر وأعظم ما يقع من أنواع الشرك.

**ودعاء الله وحده هو أعظم وأهم أنواع العبادة، وهو من العبادات القلبية** لتوجه القلب إلى الله تعالى وثقته به، **ومن العبادات اللسانية** لذكر الله تعالى والضراعة إليه بطلب الحاجة، **فإن كانت الحاجة** مما لا يقدر عليها إلا الله فطلبها من الله توحيد، لاعتقاد الطالب بأن الله هو الذي يتصرف ويعطي. **وطلبها** من غير الله شرك أكبر يجتمع فيه الشرك في الربوبية والشرك في العبادة، **أما إن طلب من المخلوق شيئاً يقدر عليه** فلا شيء في ذلك لكن يجب أن يتعلق القلب بالله تعالى ويعتقد أنه وحده هو الميسر لذلك الأمر وإنما المخلوق سبب ووسيلة، فإن التفت القلب إلى المخلوق بشيء من الاعتماد والثقة فقد أشرك شركاً أصغر.

**(١) (مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ):** يعني: أن أنواع العبادة ليست مخصوصة بهذه الأنواع ولا محصورة في هذه الأنواع التي أعدها -رحمه الله-، بل هي أنواع كثيرة جداً.

**(٢) (فمن صرف)** أي: فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة التي ذكر المصنف -رحمه الله- تعالى مثل: أن دعا غير الله من الأموات والغائبين، أو رجاهم، أو خافهم، أو سألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، أو غير ذلك – فهو مشرك الشرك الأكبر، المخرج من الملة، كافر الكفر الأكبر المخرج من الملة، والشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد،

■ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾(١) [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»(٢).

---

وهو: الكفر بالله، واسم لمن لا إيمان له، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بقصد الأوثان وغيرها من المخلوقات، مع الاعتراف بالله، فيكون الكفر أعم.

(١) فنص الله -ﷻ- على كفر من يدعو مع الله إلهاً آخر، والحال أنه لا برهان له به، أي: لا حجة له عليه وكل مشرك لا برهان له على الشرك، قال تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم:٣٥]، ولذلك نفى الله تعالى عنه الفلاح لكونه لا حجة له على شركه بل الحجة لله تعالى عليه. **وقد أبطل الله تعالى إلهية الآلهة التي تعبد من دونه بعدة براهين. منها:**

أ - أن هذه الآلهة المعبودة مع الله تعالى أو من دونه لا تخلق ولا تملك شيئاً ولا تجلب لعابديها نفعاً ولا تدفع عنهم ضراً ولا تحقق لهم نصراً، قال تعالى:﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف:١٩١] الآية، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢].

ب- أن هؤلاء المشركين مقرون بأن الله وحده هو الخالق الرازق الذي بيده ملك كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ولا ينجي من الكرب وعند الشدائد إلا هو وحده. ولذلك يخلصون له الدعاء في الشدة، وهذا يستلزم أن يقروا له سبحانه بالإلهية ويخلصوا له في العبادة كما أفردوه بالربوبية والخلق والملك والتدبير..

(٢) **إسناده ضعيف،** ويغني عنه حديث النعمان بن بشير: **الدعاء هو العبادة.**

◘ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

◘ وَدَلِيلُ الْخَوْفِ(١): الخوف

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾(٢) [آل عمران: ١٧٥].

---

(١) **الخوف:** ذعر وانفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى وقد نهى الله تعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده. **والخوف ثلاثة أنواع:**

**الأول: خوف طبيعي جبلي:** وهو الذي قام سببه - كخوف الإنسان من السبع أو النار أو الغرق أو العدو -، وهذا لا يلام عليه ما لم يحمل على ترك واجب أو فعل محرم - من غير إكراه ملجئ -؛ فإن حمل على شيء من ذلك من غير إكراه كان من الشرك الأصغر.

**الثاني: خوف العبادة:** وهو خوف مقرون بتعظيم وإجلال لله جل وعلا وهو الذي أمر الله به فلا يستحقه إلا الله تعالى. **الثالث: خوف سر:** كأن يخاف من ميت أو غائب حي لا سبب له، أو حي حاضر في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة لأنه سوى غير الله تعالى بالله فيما هو من خصائص الله إذ خاف من المخلوق خوفه من الله، فهو شرك في الربوبية وشرك في الإلهية والعبادة.

(٢) **قال الطبري: يعني بذلك:** إنما الذي قال لكم أيها المؤمنون: إن الناس قد جمعوا لكم، فخوفوكم بجموع عدوكم، ومسيرهم إليكم، من فعل الشيطان، ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم، يخوفكم بأوليائه من المشركين أبي سفيان وأصحابه من قريش، لترهبوهم، وتجبنوا عنهم. فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين، ولا يعظمن عليكم أمرهم، ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم إياي، ما أطعتموني، واتبعتم أمري، وإني متكفل لكم بالنصر والظفر، ولكن خافون، واتقوا أن

**الرجاء**

## ◘ ودَلِيلُ الرَّجَاء(١):

**قوله تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(٢) [الكهف: ١١٠].

---

تعصوني وتخالفوا أمري، فتهلكوا إن كنتم مؤمنين يقول:ولكن خافوني دون المشركين، ودون جميع خلقي أن تخالفوا أمري إن كنتم مصدقي رسولي وما جاءكم به من عندي.

(١) **أصل الرجاء** هو الطمع أو انتظار الشيء المحبوب.

والرجاء يتضمن التذلل والخضوع، فلا يكون إلا لله ﷻ، وتعليق الرجاء بغير الله شرك، وإن كان الله تعالى قد جعل لها أسباباً، فالسبب لا يستقل بنفسه بل لابد له من معاون، ولابد من انتفاء الموانع، وهو لا يحصل ولا يبقى إلا بمشيئة الله تعالى.

**قال ابن القيم: وحقيقة الرجاء: الخوف والرجاء** فيفعل ما أمر به على نور الإيمان راجياً للثواب، ويترك ما نهى عنه على نور الإيمان خائفاً من العقاب. **والرجاء نوعان:**

**رجاء محمود:** وهو رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه. **رجاء مذموم:** وهو رجاء رجل متمادٍ في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب. **والفرق بين الرجاء والتمني:** أن الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل. والتمني يكون مع الكسل.

(٢) ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا﴾ أي: يعمل ويطلب وينتظر. **وقوله:**﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ المراد باللقاء هنا المعاينة. والمراد بها الملاقاة الخاصة؛ **لأن اللقاء يوم القيامة نوعان: خاص:** وهذا للمؤمنين، وهو لقاء الرضا والنعيم من الله ﷻ. **ولقاء عام:** لجميع الناس، وهو لقاء الحساب. **ومن رجا غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله**، كمغفرة ذنوبه، أو شفاء مريضه، فقد صرف تلك العبادة لغير الله، ووقع في الشرك الأكبر، لأن هذا طمع في شيء لا يملكه إلا الله وصرف عبادة الرجاء إلى غير الله،

التوكل

■ ودَلِيلُ التَّوَكُّلِ (١): ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

---

**قال شيخ الإسلام:** الرجاء ينبغي أن يتعلق بالله، ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله، فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسباباً فالسبب لا يستقل بنفسه.

**(١) التوكل من الأعمال القلبية والعبادات الجليلة.**

**قال ابن رجب: وحقيقة التوكل** هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها.

**قال ابن القيم: وسر التوكل وحقيقته** هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء.

**والتوكل محله السبب، وكماله بالتوكل. قال ابن القيم:** التوكل محله الأسباب، وكماله بالتوكل على الله، وهذا كتوكل الحرَّاث الذي شق الأرض، وألقى فيها البذر، فتوكل على الله في زرعه وإنباته، فهذا قد أعطى التوكل حقه.

**ويجب فعل الأسباب مع التوكل**، وعدم الركون إليها، **قال ابن القيم:** من أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها.

**والتوكل على الله نوعان: أحدهما:** توكل عليه في جلب حوائج العبد، وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته، ومصائبه الدنيوية. **والثاني:** التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه. وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية. ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضا لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه. فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣](١).

---

**وأما التوكل على غير الله تعالى فأنواع:**

**النوع الأول:** التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من جلب المنافع ودفع المضار، وهذا شرك أكبر.

**النوع الثاني:** أن يتوكل على حي حاضر من ملك أو وزير أو تاجر فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى، وهذا شرك أصغر، بسبب قوة تعلق القلب بهذا الإنسان واعتماده عليه. أما إذا اعتقد أن هذا الإنسان سبب، وأن الله تعالى هو الذي أقدره على هذا الشيء وأجراه على يديه فهذا لا بأس به إذا كان لهذا الإنسان أثر صحيح في حصول المراد.

**النوع الثالث:** الاعتماد على الغير في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه فهذا جائز دل عليه الكتاب والسنة والإجماع. لكن لا يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله ﷻ في تيسير أمره الذي يطلبه إما بنفسه أو بنائبه ولهذا لا تقول: توكلت على فلان إنما تقول: وكلت فلاناً، وقد وكل النبي ﷺ بعض الصحابة فوكل علياً في ذبح بقية بدنه في حجة الوداع، ووكل أبا هريرة رضي الله عنه على الصدقة.

**(١) أما الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** فدلت على وجوب التوكل، وأنه من العبادات. **فقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾** أي: لا على غيره، وهذا يفيد الحصر، أي: اعتمدوا على الله جل وعلا، وفوضوا أموركم إليه. **وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قال ابن القيم:** فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه فمن لا توكل له لا إيمان له. **وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾** هذه الآية الثانية. والغالب أنه لا يسوق إلا دليلاً واحداً وكأنه أراد –والله أعلم– أن الآية الأولى فيها وجوب التوكل والأمر بالتوكل، والثانية فيها جزاء من توكل على الله، والله أعلم.

**وقوله: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾** أي: كافيه.

## ◘ وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ(١): الرغبة والرهبة والخشوع

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

---

(١) هذه ثلاثة أنواع من العبادة دلت عليها آية واحدة.

**الأولى: الرهبة.** وهي بمعنى الخوف المثمر للهرب من المخوف، فهي خوف مقرون بعمل. والرهبة الشركية هي رهبة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

**والثانية: الرغبة.** ومعناها: الطلب والتضرع والابتهال مع المحبة والطمع في الوصول إلى الشيء والحرص عليه. والرغبة الشركية هي رغبة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

**قال ابن القيم:** والفرق بين الرغبة والرجاء: أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه، والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف.

**والثالثة: الخشوع** وهو التذلل، وهو بمعنى الخضوع إلا أن الخضوع يغلب أن يكون في البدن، والخشوع في القلب أو البصر أو الصوت. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢]، وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ﴾ [طه:١٠٨]، وقال تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم:٤٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦]. **قال شيخ الإسلام:** والخشوع: الخضوع لله تعالى، والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح. والدليل على أن هذه الثلاثة عبادات: أن الله جل وعلا أثنى على الأنبياء الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة -سورة الأنبياء-، أنهم يبادرون في الطاعات، ويسارعون في الخيرات، ويسابقون إلى نيل القربات، ويدعون الله رغباً في رحمته ورهباً من عقوبته.

## ▪ وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ(١):

الخشية

قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] (٢).

---

(١) هي: الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطان، فهي خوفٌ يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علمٍ بما يخشى منه. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر:٢٨] . فالخشية خوف مقرون بمعرفة الله. ولهذا قال النبي ﷺ: "**أما والله، إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**". **قال ابن القيم:** خشيته تعالى مقرونة بمعرفته، وعلى قدر المعرفة تكون الخشية. **وقال ابن القيم:** فالخوف حركة والخشية انجماعٌ وانقباضٌ وسكونٌ فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان إحداهما حركة للهرب منه وهي حالةٌ من الخوف. والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه وهي الخشية. **قال شيخ الإسلام:** والخشية أبداً متضمنة للرجاء، ولولا ذلك لكانت قنوطاً، كما أن الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله. **قال شيخ الإسلام:** كل من خشي الله فهو عالم. **قال ابن مسعود** –رضي الله عنه–: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً.

(٢) **ودليل أن الخشية** عبادة من العبادات قوله تعالى:﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ فليسوا أهلاً للخشية ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ لأن خشيته تعالى رأس كل خير، فمن لم يخش الله لم ينكف عن معصيته، ولم يمتثل أمره. **قال ابن القيم:** ولا يمكن لأحد قط أن يصل ما أمر الله بوصله إلا بخشيته، ومتى ترحلت الخشية من القلب انقطعت هذه الوصل. انتهى.

ومن خشي ربه رزقه الله حياة القلب من المواعظ والعبر.

قال ﷻ:﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾[الأعلى:١٠]وقال ﷻ:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٦].

الإنابة

## ◘ وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ(١):

(١) **الإنابة :** هي الرجوع إلى الله. **وأصلها:** محبة القلب وخضوعه وذله للمحبوب المراد فمن لا يُحبُّ لا يمكن الإنابة إليه. **قال ابن القيم:** الإنابة هي عكوف القلب على الله ﷻ، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، **وحقيقة ذلك** عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له، والمتابعة لرسوله -ﷺ-.

**والإنابة بمعنى التوبة،** ولكن قال العلماء: إنها أعلى من التوبة؛ لأن التوبة إقلاع وندم وعزم على ألا يعود، أما الإنابة ففيها المعاني الثلاثة، وتزيد معنى آخر وهو الإقبال على الله تعالى بالعبادات، فإذا أقلع الإنسان من معصية، وعزم ألا يعود، وندم على ما مضى، واستمر على ما هو عليه من عباداته، يقال: هذا تائب، لكن من معصية، وعزم ألا يعود، وندم على ما مضى، واستمر على ما هو عليه من عباداته، يقال: هذا تائب، لكن إذا تجدد له الإقبال بعد موته فهذا منيب إلى الله تعالى. والمصنف اقتصر على ذكر الإنابة، ولم يذكر التوبة من أنواع العبادة، لأن صورة العبادة بالنسبة للإنابة، أوضح من صورتها بالنسبة إلى التوبة، بسبب زيادة الإقبال على العبادة، ولأن الإنابة أعم من التوبة. والفطرة دالة على الإنابة.

**قال شيخ الإسلام:** الفطرة تتضمن الإقرار بالله والإنابة إليه.

**وقد ذكر ابن القيم ﷺ أن الإنابة إنابتان:**

١- **إنابة لربوبيته:** وهي إنابة المخلوقات كلها يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم:٣٣]، فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر كما هو الواقع. وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام.

٢- **إنابة لإلهيته:** وهي إنابة أوليائه، إنابة عبودية ومحبة، وتتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه. فالمنيب إلى الله المسرع إلى مرضاته الراجع إليه كل وقت، المتقدم إلى محابه، لأن لفظ الإنابة فيه معنى الإسراع والرجوع.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] (١).

■ وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ(٢): الاستعانة

---

(١) في الآية الكريمة ما يدل على أن الإنابة من العبادات، وأن الله جل وعلا أمر بها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: ارجعوا إليه بالطاعة.

﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ المراد بالإسلام في الآية الكريمة هو **الإسلام الشرعي.**

ومعناه: الاستسلام والانقياد لأحكام الشريعة، وهذا لا يكون إلا للطائعين. فالطائع مسلم إسلاماً شرعياً؛ لأنه انقاد لأحكام الشرع.

**أما بالنسبة إلى الإسلام الكوني**، وهو المعنى الثاني، فهذا هو الاستسلام لحكم الله الكوني، وهذا ليس خاصاً بالطائعين بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران:٨٣]. ففيه من يسلم طائعاً، وفيه من يسلم وهو كاره. **ومعنى هذه الآية** أن جميع من في السموات ومن في الأرض منقادون لحكم الله الكوني بمعنى أنهم منقادون لما يجريه الله تعالى ويقدره عليهم شاءوا أم أبوا فهذا إسلام كوني. أما الإسلام الشرعي الذي يمدح فاعله وهو من أنواع العبادة فهو المعنى الأول.

**فائدة:** منزلة التوكل قبل الإنابة، لأنه يتوكل في حصولها، فالتوكل وسيلة، والإنابة غاية.

**والإنابة عبادة يتفاوت العباد فيها.**

**قال ابن القيم:** والناس في إنابتهم على درجات متفاوتة، فمنهم المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي، ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقربات، ومنهم المنيب إلى الله بالتضرع والدعاء والافتقار إليه والرغبة وسؤال الحاجات كلها منه.

(٢) **الاستعانة:** طلب العون. **والاستعانة أنواع: النوع الأول: الاستعانة بالله:** وهي الاستعانة المتضمنة كمال الذل من العبد لربه مع الثقة به، والاعتماد عليه، وهذه لا تكون إلا لله فهي تتضمن ثلاثة أشياء: **الأول:** الخضوع والتذلل لله تعالى. **الثاني:** الثقة بالله.

## قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(١).

---

**الثالث:** الاعتماد على الله ﷻ، وهذه لا تكون إلا لله، فمن استعان بغير الله محققاً هذه المعاني الثلاثة فقد أشرك مع الله غيره. والعبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله ﷻ.

**النوع الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر قادر عليه.** ومعنى الاستعانة بالمخلوق: أن تطلب منه أن يعينك ويساعدك، وشرط ذلك أن يكون في أمر يقدر عليه.

**فهذه إن كانت على بر وخير** فهي جائزة والمعين مثاب على لأنه إحسان، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة:٢]، **وإن كانت على إثم** فهي حرام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة:٢].

**النوع الثالث: الاستعانة بالأموات أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون عليه** فهذا شرك؛ لأنه إذا استعان بالميت أو بحي على أمر بعيد غائب عنه لا يقدر عليه؛ فهذا يدل على أنه يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً في الكون وأن مع الله مدبراً.

**النوع الرابع: الاستعانة بأعمال وأحوال محبوبة شرعاً، فهذا النوع مشروع** بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]، فكونك تستعين بالصبر وتستعين بالصلاة على أمورك هذا أمر محبوب.

(١) وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥] في هذه الآية اجتمع أمران عظيمان عليهما مدار العبودية. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تبرؤ من الشرك. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تبرؤ من الحول والقوة، وتقديم المعمول هنا يفيد الحصر؛ لأن المعنى لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك. قال السعدي: وتقديم العبادة على الاستعانة من باب تقديم العام على الخاص. **قال شيخ الإسلام:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلهيته، من المحبة والخوف والرجاء والأمر والنهي. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى ما اقتضته الربوبية من التوكل والتفويض والتسليم.

الاستعاذة

وفي الحديث: «إذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»(١).

■ وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ(٢): قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾(٣).

---

(١) هذا قطعة من حديث جليل. رواه الترمذي وصححه من حديث ابن عباس.

(٢) **الاستعاذة:** هي الاعتصام والالتجاء إلى من تعتقد أنه يعيذك ويلجئك.

**والاستعاذة بالله تعالى** هي التي تتضمن كمال الافتقار إليه سبحانه، والاعتصام به، واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شر. ولا ريب أن هذه المعاني لا تكون إلا ﷺ. ويدخل في الاستعاذة بالله جل وعلا: الاستعاذة بصفاته، والاستعاذة بكلماته وبعزته، ونحو هذا، كما في بعض الأوراد الصحيحة الثابتة: "**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**"، و"**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**"، فهذا استعاذة بالله ﷺ.

**أما الاستعاذة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين فهذا شرك كما تقدم في الاستعانة.**

**وأما الاستعانة بمخلوق يمكن العوذ به** لأنه قادر، فهذا يجوز كما لو هربت من سبع والتجأت إلى شخص آخر يحميك أو هربت من عدو والتجأت إلى شخص آخر يمنعك منه. وقد يكون الالتجاء إلى أمكنة، كشجرة أو يدخل في مكان.

(٣) **وقوله تعالى:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾هذا أمر من الله ﷺ للنبي ﷺ والأمة تبع له في هذا. ومعنى ﴿أَعُوذُ﴾أي التجئ وأتحصن﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ الفلق: هو الصبح أن القادر على إزالة هذه الظلمة من العالم قادر على أن يدفع عن هذا المستعيذ ما يخافه ويخشاه. وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أي: خالقهم ومصلح أحوالهم.

**وفي الآيتين دليل** على وجوب الاستعاذة بالله تعالى من جميع شرور خلقه، وأنه ﷺ القادر على إعاذة عبده ودفع الشرور عنه.

## ◘ وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ(١):

الاستغاثة

---

(١) **الاستغاثة:** طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة، أي: طلب النجدة حال الشدة، **وهي أقسام: الأول: الاستغاثة بالله** ﷻ: وهي أخص أنواع العبادة وأفضلها وأكملها، وهو دأب النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين. كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال:٩].

وذكر الله تعالى عن يونس عليه السلام قوله: «**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**».

ومنه قول رسول الله – ﷺ – يوم بدر: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني** .. ».

**الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء**: فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهذا شرك أكبر مخرج من الملة لأن المستغيث بهؤلاء إنما يستغيث بهم لما يعتقده فيهم من التصرف الخفي في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[النمل:٦٢].

**الثالث: الاستغاثة بالأحياء:** الحاضرين العالمين القادرين فيما يقدرون عليه وهذا جائز وقد يجب، قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[القصص:١٥]

قال ابن القيم رحمه الله : " الاستغاثة لا تكون إلا بعد الذعر.

**والفرق بين الدعاء والاستغاثة:** أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب.

**وأما الدعاء،** فهو أعم يكون من المكروب ومن غيره فهي أخص أنواع الدعاء فإن دعاء المكروب يقال له استغاثة.

**والفرق بين الاستغاثة والاستعاذة:** أن الاستعاذة تطلب منه أن يعصمك وأن يمنعك وأن يحصنك. والاستغاثة تطلب منه أن يزيل ما حل بك من شدة.

**والاستغاثة تتضمن**: كمال الافتقار إلى الله، واعتقاد كفايته.

وهي من أفضل الأعمال وأكملها، والمرء في هذه الحياة عرضة للكروب والكوارث.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

الذبح

■ ودليل الذبح(١):

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] (٢).

---

فمن استغاث بربه في كشف ملماته فقد أدى عبادة عظيمة فزع إليها الأنبياء والصالحون عند الشدائد ففرج الله كروبهم.

(١) أي: ذبح القربان لله تعالى من الضحايا والهدايا ونحو ذلك، وأنه عبادة من أفضل العبادات وأفضل القربات إلى الله تعالى. والذبح يقال للبقر والغنم، وأما الإبل فالنحر، ويجوز العكس. وعبر بالذبح، لأنه الأكثر.

والذبح هو: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص.

ويقع على وجوه:

الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر.

الثاني: أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحبابا.

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الإتجار به ونحو ذلك.

فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة.

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ أي: جميع صلواتي ﴿وَنُسُكِي﴾، أي: جميع أنساكي وهي العبادات أو الذبائح التي يتقرب بها إلى تعالى من الهدي والأضحية والعقيقة، وفي هذا إثبات توحيد العبادة. ﴿وَمَحْيَايَ﴾ أي: أمر حياتي وما أعمله فيها.

﴿وَمَمَاتِي﴾ أي: أمر موتي وما ألقاه بعد، وفي هذا إثبات لتوحيد الربوبية.

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١).

النذر

■ وَدَلِيلُ النَّذْرِ(٢):

---

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أي: خالص ومختص بالله خالق ومالك ومدبر العالمين. وهم كل من سوى الله تعالى. ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، أي: لا مشارك له في العبادة كما أنه لا شريك له في الملك والتدبير. ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾، أي: وبذلك الإخلاص والتوحيد أمرني الله تعالى أمراً حتماً لا أخرج من التبعة إلا بامتثاله. ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، أي: أسبقهم انقياداً إلى الإسلام لكمال علمه بالله تعالى، إن كان المراد بالأولية أولية الانقياد أو أسبقهم زمناً ويكون المراد بـ: مسلمي أمته. **والمقصود أن هذه الآية** دلت على أن أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة لا يجوز أن يصرف منها شيئاً لغير الله كائناً من كان.

**(١)** هذا الحديث جزء من حديث علي ﷺ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض". أخرجه مسلم. واللعن: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

**وقوله: (لعن الله):** هذا يحتمل أنه خبر، ويحتمل أنه إنشاء.

**فإن كان خبراً** فمعناه: أن الرسول ﷺ يخبرنا أن الله جل وعلا لعن من ذبح لغير الله.

**وإن كان إنشاءً** فمعناه: الدعاء، أي: الرسول ﷺ يدعو على من ذبح لغير الله أن يطرده من رحمته. والخبر أبلغ لأنه يفيد وقوع اللعن بخلاف الدعاء فقد يستجاب وقد لا يستجاب.

**(٢) النذر شرعًا** إلزام المكلف نفسَه شيئًا ليس بواجبٍ تعظيمًا للمنذور له وتقربًا، وهو نوعان: نذر محمود، ونذر مكروه.

**فالنذر المحمود** هو المطلق يعني: الذي لا يكون معلقًا بسبب، كقوله: نذرت لله كذا، والوفاء به واجب، ولا يكره على الصحيح عقده.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] (١).

---

**والنذر المقيد** كأن يقول الإنسان لله على إن شفى الله مريضي أن أصوم لله ثلاثة أيام، فهذا نذر مكروه ابتداء ومنهم من حرمه والوفاء به إن كان في طاعة واجب.

**(١) ودليل أن النذر عبادة لا يصرف إلا لله.**

قوله تعالى في معرض الثناء على من وفَّى بالنذر :﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ بما ألزموا به أنفسهم من النذور، وإذا كانوا يوفون بما هو غير واجب في الأصل عليهم إلا بإيجابهم على أنفسهم، ففعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية من باب أولى وأحرى ، وهو سبحانه لا يثني إلا على فاعل عبادة ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ عسيراً ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾أي ما فيه من الأهوال﴿مُسْتَطِيرًا﴾منتشراً وقاسياً على الناس إلا من رحم الله . **أما النذر لغير الله** فهذا شرك أكبر كأن ينذر مثلاً للقبر، أو ينذر للسيد الفلاني، أو ينذر للجني. فمن صرف النذر لغير الله، فقد صرف عبادة من العبادات لغير الله، ووقع في الشرك، وهو أعظم من الحلف بغير الله.

**قال شيخ الإسلام:** فمن نذر لغير الله فهو مشرك أعظم من شرك الحلف بغير الله.

**وقال شيخ الإسلام:** ولا يجوز أن ينذر للقبر ولا للمجاورين عنده شيء من الأشياء: لا دراهم، ولا زيت، ولا شمع، ولا حيوان، ولا غير ذلك.

**وقال شيخ الإسلام:** ومثلما ينذر الجهال من المسلمين لعين ماء أو بئر من الآبار أو قناة ماء أو مغارة أو حجر أو شجرة من الأشجار أو قبر من القبور -وإن كان قبر نبي أو رجل صالح-، أو ينذرون زيتا أو شمعا أو كسوة أو ذهبا أو فضة لبعض هذه الأشياء-: فإن هذا كله نذر معصية لا يوفى به. لكن من العلماء من يقول: على صاحبه كفارة يمين...ثم أفاد فقال: وإذا صرف من ذلك المنذور شيء في قربة من القربات المشروعة كان حسنا، مثل أن يصرف الدهن إلى تنوير بيوت الله، ويصرف المال والكسوة إلى من يستحقه من المسلمين من آل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وسائر المؤمنين، وفي سائر المصالح التي أمر الله بها ورسوله.

## الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة

♦ الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ، وَهُوَ الاستسلامُ لله بالتوحيد(١)، والانقيادُ له بالطاعة(٢)، والبراءة من الشرك وأهله(٣).

---

(١) **بمعنى: الخضوع**، والذل له سبحانه؛ لأن من معاني مادة "أسلم" **في اللغة**: الطاعة والإذعان، والمسلم سمي بذلك لخضوع جوارحه لطاعة بربه. **قال شيخ الإسلام**: الإسلام هو : الاستسلام ، وهو يتضمن الخضوع لله وحده ، والانقياد له ، والعبودية لله وحده. **وحقيقة الإسلام كما يقول شيخ الإسلام**: هو أن يسلم العبد أفعاله لله لا لغيره، وهو معنى لا إله إلا الله. فالمستسلم لله ولغيره مشرك، والممتنع عن الاستسلام له مستكبر، ومن استكبر عن الحق والإسلام ابتلاه الله باتباع الباطل والكفر كما يقول شيخ الإسلام. والإسلام له رأس وهو الشهادتان، وله ضدان: الكبر والشرك. ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والسلامة التي هي الإخلاص.

(٢) بفعل المأمورات وترك المنهيات امتثالاً لأمر الله. وأعلى المراتب كمال الانقياد، ومن لم ينقد لهذا الدين أذله الله. والكبر من أعظم أسباب منع الانقياد لهذا الدين، **قال ابن القيم**: وهو يعدد موانع الانقياد: **السبب الثالث**: قيام مانع، وهو إما حسد أو كبر، وذلك مانع إبليس من الانقياد للأمر، وهو داء الأولين والآخرين إلا من عصم الله، وبه تخلف الإيمان عن اليهود الذين شاهدوا رسول الله -ﷺ- وعرفوا صحة نبوته، ومن جرى مجراهم.

(٣) أي أن يتبرأ المسلم من الشرك ومن أعمال وأقوال المشركين ويعتقد بطلانها ويتبرأ من أهل الشرك في الاعتقاد والعمل والمسكن، بل من كل خصلة من خصالهم، معادياً لهم غير متشبه بهم في قول أو فعل. فدين الإسلام يقوم على هذه الأسس الثلاث.

والبراءة من الشرك وأهله أحد ركني التوحيد الذي ينبني عليه، إذ التوحيد قائم على ركنين لا بد من اجتماعهما معاً، ليكون العبد موحداً، وهما النفي والإثبات.

مراتب الدين

♦ وهو ثلاث مراتب(١):

- الإسلام.
- والإيمان.
- والإحسان.

وكل مرتبة لها أركان(٢).

أركان الإسلام

♦ فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ:

---

ومن فقد أحدهما فقد التوحيد، فتنفي العبودية عن غير الله، وتثبت العبودية لله وحده، قال سبحانه مخبراً عن إبراهيم عليه السلام آمراً بالتأسي به ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف:٢٦] فهذا هو الركن الأول وهو البراءة من الشرك وأهله، وقوله تعالى بعدها :﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف:٢٧] هذا هو الإثبات، وهو الركن الثاني، وكقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة:٢٥٦]هذا هو البراء أي النفي﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٦] وهذا هو الإثبات.

(١) **وأهل دين الإسلام لا يخلو حالهم من إحدى هذه المراتب**، وقد ينتقل المسلم من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها، أو أدنى منها على قدر طاعته لله أو بُعدِهِ عنه.

وأول تلك المراتب: الإسلام، وأوسطها الإيمان، وأعلاها الإحسان، ومن وصل إلى العليا فقد وصل إلى ما قبلها، فالمحسن مؤمن، والمؤمن مسلم، وأما المسلم فلا يلزم أن يكون مؤمناً.

(٢) **أراد المصنف التغليب** لأن الإسلام له أركان وهي خمسة، والإيمان له أركان وهي ستة، والإحسان له ركن واحد فحسب وليس له أركان وإنما هو ركن واحد. فحينئذ يكون أطلق الكل وأراد به البعض وهو الإسلام والإيمان.

- شَهَادَةُ أَن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.
- وإقام الصلاة. - وإيتاء الزكاة.
- وصوم رمضان. - وحج بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

◘ فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١) [آل عمران: ١٨].

---

(١) (فدليل الشهادة) أي شهادة أن لا إله إلا الله (قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾) شهد في لسان العرب وفي الشرع متضمنة للعلم والإخبار والإلزام والحكم والقضاء، فهذه المعاني كلها داخلة في معنى شهد، وهنا حصل وجه الاستدلال بالآية، فشهد معناه أخبر وبين وأعلم غيره وحكم وقضى أنه لا إله إلا هو، يعني أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهية ما سواه باطلة، فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصح الإلهية لغيره، وهذا المعنى يستلزم الأمر بالشهادة، إذا قيل: بأنه أخبر وبين وحكم وقضى، إذا الشهادة مأمور بها، وشهادته سبحانه هي أعظم شهادة في الوجود قال سبحانه ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله﴾ وشهد سبحانه على أجلِّ مشهود عليه، وهو ما شهد به تعالى ﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ﴾ يستحق العبادة ﴿إِلَّا هُوَ﴾ جل وعلا ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ شهدوا بأنه لا إله إلا هو، كما شهد الله لنفسه المقدسة بذلك ﴿وَأُولُوا﴾ أي أصحاب ﴿الْعِلْمِ﴾ شهدوا بذلك أيضًا، فجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيده، وأنه يجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة، وهذا فيه أعظم حاثٍّ على طلب العلم، فإن الله شهد واستشهد الملائكة واستشهد أهل العلم، ففي هذه الشهادة رفعة لأهل العلم، حيث استُشْهِدوا على ما شهد به رب العالمين، وأيُّ ثناء أشرف من هذا الثناء عليهم وتعديلهم، وشهادته لهم أنهم أولوا العلم، وجعلهم حجة على من أنكرها، دال على فضل العلم.

معنى لا إله إلا الله

♦ ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وحده(١).

♦ و(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ(٢)

---

والمراد به العلم الشرعي، الذي هو نور القلوب وقوتها، وغيره علم نسبي إضافي، إما إلى أمور دنيوية، أو علوم حسابية وصناعية، أو غير ذلك، وأهله ليسوا من أهل العلم الذين استشهدهم، فلا يطلق هذا العلم إلا على العلم الشرعي الديني ﴿قَآئِمًۢا﴾ منصوب على الحال ﴿بِٱلْقِسْطِۚ﴾ أي: بالعدل، أي: قائماً بالعدل في جميع الأحوال ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيد لما سبق ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يرام جنابه عظمةً وكبرياءً ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

(١) أي: ومعنى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله (لا معبود) يستحق العبادة (بحق) ويجب أن يؤتى في بيان معناها بهذا القيد وهو كلمة " بحق " لأن المعبودات من دون الله كثيرة ولكنها معبودات باطلة، كعبادة أهل القبور والأشجار والأصنام. فالله هو المعبود بحق، وكل مألوه سوى الله فإلهيته أبطل الباطل، وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

(٢) **فكلمة التوحيد لا إله إلا الله، اشتملت على أمرين هما ركناها : النفي والإثبات.**

**(فلا إله)** معناها **(نافياً جميع ما يعبد من دون الله)** من القبور والأشجار والأحجار وغيرها ومعنى **(إلا الله)** أي: **(مثبتاً العبادة لله وحده)** فلا أعبد أحداً غيره، وهو سبحانه **(لا شريك له في عبادته)** وألوهيته. فالنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات المحض، فلابد الجمع بين النفي والإثبات. **وشروطها ثمانية**: أحدها: العلم المنافي للجهل. الثاني: اليقين المنافي للشك. الثالث: القبول المنافي للرد. الرابع: الانقياد المنافي للترك. الخامس: الإخلاص المنافي للشرك. السادس: الصدق المنافي للنفاق. السابع: المحبة المنافية لضدها. الثامن: الكفر بما سوى الله.

كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ(١).

◘ وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (٢) [الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

---

(١) إشارة إلى أن توحيد الربوبية ثابت عند الناس بفطرهم وعقولهم السليمة ، فيستدل به على وجوب تجريد توحيد العبادة.

(٢) (وتفسير) شهادة أن لا إله إلا الله (الذي يوضحها) ويبينها بياناً تاما، ما ذكره الله في كتابه في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ إمام الحنفاء ﴿لِأَبِيهِ﴾آزر ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم ويتقربون إليهم، قال لهم: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ أي: بريء ومبغض ومجتنب ومعادي لكم يا أهل الشرك، وكذلك بريء ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾من دون الله من الآلهة، وهذا فيه معنى " لا إله " . وقوله:﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أي: ابتدأ خلقي فإني أعبده، وفيه معنى " إلا الله " فاستثنى من المعبودين ربه ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ يرشدني لدينه القويم، وصراطه المستقيم، بالهداية للعلم والعمل بالحق، كما فطرني ودبرني بما يصلح لديني ودنياي. ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: وجعل الخليل إبراهيم عليه السلام، كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وما تضمنته من إخلاص جميع أنواع العبادة لله وحده والتبرؤ من عبادة كل ما سوى الله ﴿كَلِمَةً﴾ عظيمة ﴿بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ ونسله وذريته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لعل أهل مكة وغيرهم فيقتدون بمن هداه الله من ذريته إليها.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١) [آل عمران: ٦٤].

---

(١) أي: ودليل الشهادة أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أمر نبيه محمداً ﷺ أن يقول لأهل الكتاب: اليهود، والنصارى ومن جرى مجراهم ﴿تَعَالَوْا﴾ أي: أقبلوا وهلموا ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ واحدة لا غير، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما هنا ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: عدل وإنصاف لا يختلف فيها رسول ولا كتاب، نستوي نحن وأنتم في فرضيتها ووجوبها علينا وعليكم، وهي الكلمة التي تدعو إليها الرسل جميع الخلق ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: لا نوحد نحن وأنتم بالعبادة إلا الله، فوضح معنى الكلمة، فإن في قوله: {أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ} معنى (لا إله إلا الله)، فتبين أن لا معبود حق إلا الله وحده. ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لا صليباً، ولا صنماً، ولا طاغوتاً، ولا ناراً، ولا شيئاً غير الله، بل نفرده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل. ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله، كما فعلت اليهود والنصارى. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: فإن امتنعوا وأدبروا وأعرضوا عن الإجابة إلى إفراد الله بالعبادة ﴿فَقُولُوا۟﴾ - أنتم يا أمة محمد-لهم: ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون لله بالتوحيد دونهم، أي: صرحوا لهم شفاهةً بأنكم مسلمون وأنهم كفار، وأنكم براء منهم وهم براء منكم، وهذا دال على أنه لابد تبين للكفار حتى يتفهموا ويتحققوا أنهم ليسوا على دين، وأن دينك خلاف دينهم الذي هم عليه، وأن دينهم خلاف دينك. وهذه الآية الكريمة كان النبي -ﷺ- يكاتب بها إلى ملوك أهل الكتاب، وكان يقرأ بها في الركعة الثانية من سنة الفجر ؛ لاشتمالها على الدعوة إلى دين واحد ، فقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ، واحتوت على توحيد الإلهية المبني على عبادة الله وحده.

■ وَدليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾(١) [التوبة: ١٢٨].

---

وأن يعتقد أن البشر وجميع الخلق لا يستحق أحد منهم شيئاً من خصائص الربوبية، ولا من نعوت الإلهية، فإن انقاد أهل الكتاب وغيرهم إلى هذا فقد اهتدوا، وإلا فهم في ضلال.

(١) (ودليل شهادة أن محمداً رسول الله) من القرآن (قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي من جنسكم، تعرفون نسبه وصدقه، ليس من الملائكة ولا من الجن، بل بشر تتمكنون من مجالسته ومؤاكلته والحديث معه، وقد نال أجل الصفات فيكم من الأمانة والصدق والكرم وحسن الخلق، ومن كان كذلك فإن النعمة به على العباد تكون أكبر وأعظم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يشق عليه كل أمر يعنِّت أمته، أو يشق عليها ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ بهدايتكم وإنقاذكم من النار. ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وعطوف عليهم ومحب لهم كل خير. وأيده سبحانه بالآيات الباهرة الدالة على صدقه، ومن أعظمها القرآن الكريم، وقد أعجز أهل الأرض بفصاحته وبلاغته. ومن البراهين على صدقه نصرة من اتبعه ولو كانوا أضعف الناس، وخذلان من عاداه وعقوبته في الدنيا ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم. وشهادة أن محمداً رسول الله -ﷺ- ليس المقصود منها هو التلفظ بها فقط، بل العمل بما اقتضاه معناها. قال ابن القيم: الشهادة لرسول الله بأنه نبي، لا تدخل الإنسان في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته ، فشهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق وأن دينه من خير أديان البرية ديناً لم تدخله هذه الشهادة في الإسلام ، ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة، من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة وأنه صادق، ولم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علم أن الإسلام أمر وراء ذلك ، وأنه ليس هو المعرفة فقط ، ولا المعرفة والإقرار فقط ، بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهراً وباطناً.

## معنى شهادة أن محمدًا رسول الله

♦ **وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عنه نهى وزجر، وأن لا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ**(١).

---

**(١) ما ذكره الشيخ** -رحمه الله- هنا ليس هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله، وإنما هو لازمها، إذ أن **معنى شهادة أن محمداً رسول الله:** الإخبار القاطع عن اعتقاد الشاهد بها بقلبه أن محمداً -ﷺ- مرسل من عند الله بالحق، وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فقد بلغ وبين كل ما أوحاه الله إليه، وأنه عبد الله ورسوله. وتحقيق ذلك: أن يطيع النبي -ﷺ- فيما أمر، ويصدقه فيما أخبر، ويجتنب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، وإلا لم ينفعه ذلك الاعتقاد إذا لم يأت بهذا اللازم. فكل من لهج بهذه الشهادة فإنه يجب عليه أن يستحضر هذه المعاني؛ فإن ما جاء به النبي ﷺ لا يخلو من أمرين: إما خبر فالواجب فيه التصديق؛ فالأخبار تقابل بالتصديق. وإما أمر فالواجب فيه الانقياد والتسليم. **واعلم أنه تجب طاعة النبي ﷺ فيما أمر به سواءٌ علمنا حكمة هذا الأمر أو جهلنا الحكمة، وسواء أدركته عقولنا أو لم تدركه، وهذا فيما يتعلق بالأوامر**، فمن علّق العمل بالأوامر على معرفة الحكمة فإنه لم ينقد للنبي ﷺ، ولم يحقق هذه الشهادة، وحقيقة من هذه حاله إنما هو عابد لهواه؛ لأنه لا يقبل من الأوامر ولا ينتهي عن شيءٍ إلاّ ما وافق عقله ورأيه، وهذا لا يكون قد حقق العبودية لله ﷻ؛ لأن العبودية التامة أن ينقاد لأمر الله ﷻ، ولأمر رسوله ﷺ، أدرك عقله الحكمة أو لا، فهذا فيما يتعلق بالأحكام. أما ما يتعلق بالأخبار فالواجب على المؤمن إذا بلغه خبر الله أو خبر رسوله ﷺ أن يؤمن بذلك، علم معناه أو لم يعلم، فهذا هو الواجب؛ فإن الإنسان مهما بلغ علمه فإنه قد يخفى عليه بعض ما أمر الله به ورسوله، فلا يدرك معنى ما أمر الله به ورسوله على وجه الكمال، وعلى هذا فإن الواجب على مثل هذا أن يسلِّم بما جاء عن الله وبما جاء عن رسوله ﷺ، ويقول: آمنتُ بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ على مراد الله ورسوله ﷺ، وهذا الإيمان المجمل يكفيه، وتبرأ ذمته به، ولا يلزمه معرفة التفاصيل إذا كان لا يستطيع معرفة التفصيل.

## ◘ وَدَلِيلُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ (١) [البينة: ٥].

---

**قال شيخ الإسلام:** وكلما كان الرجل أتبع لمحمد -ﷺ- كان أعظم توحيداً لله وإخلاصاً له في الدين، وإذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك، فإذا أكثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول -ﷺ-.

**(وألا يعبد الله إلا بما شرع)** سبحانه في كتابه وما جاء به رسوله -ﷺ- لا نعبده بالأهواء والبدع. **قال الزهري:** من الله الرسالة، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم.

**(١)** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الواو هنا تعود على الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كما في بداية سورة البينة، يعني: إلا ليوحدوا الله جل وعلا، ويفردوه بالعبادة، لأن هذا هو معنى التوحيد. ﴿حُنَفَآءَ﴾ أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام. قال ابن عباس ﵄: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين، لأن هذا أمر عام كما سبق أن الإسلام الشرعي العام هو عبادة الله جل وعلا، والأمر بعبادة الله تعالى وإخلاص العبادة لله جل وعلا هي دعوة جميع الرسل. وهذا فيه تفسير التوحيد وهو عبادة الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة معطوف على قوله: يعبدوا. وداخل فيه، ولكن نص عليها لأهميتها، فالصلاة عبادة البدن، والزكاة عبادة المال، وهما قرينتان في كتاب الله ﷻ، فحينئذ يكون من باب عطف الخاص على العام. وذلك المأمور به أو الذي أمروا به وهو عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، **(دين القيمة)** أي الملة والشريعة المستقيمة، القيمة بمعنى المستقيمة التي لا اعوجاج فيها، لأنها دين الله ﷻ.

◘ وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣] (١).

◘ ودَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧] (٢).

---

(١) (ودليل الصيام) وهو الركن الرابع من أركان الإسلام. والصيام في اللغة: الإمساك. وفي الشرع: هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية في وقت مخصوص، من شخص مخصوص. (ودليل الصيام) من جهة الشرع وأنه أحد أركان الإسلام الخمسة (قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ هذا نداء للمؤمنين، وإنما خص المؤمنون بالنداء لكونهم أهل الإذعان والقبول فقط. وفرض الصيام في السنة الثانية للهجرة، وذكر تعالى أنه فرضه وأوجبه عليهم كما أوجبه على من كان من قبلهم.

**قال شيخ الإسلام:** كانوا يعرفونه قبل الإسلام ويستعملونه، كما في الصحيحين "يوم عاشوراء كان يوماً تصمه قريش في الجاهلية".

ثم هو من العلم العام الذي توارثته الأمة خلفاً عن سلف.

(٢) وهذه الآية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة وبها كانت فريضة الحج لمن استطاع إليه سبيلا بالقدرة بنفسه على الذهاب، وملك الزاد والراحلة ووجود المحرم للمرأة وفيها دليل على أن من لم يستطع فلا حج عليه، ودليل على أن ترك الحج ممن استطاع إليه سبيلاً يكون كفرًا، لكن لا نقول كفر مخرج من الملة إلا إذا جحده.

♦ الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَان(١).

من شعب الإيمان

وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً(٢).

♦ فَأَعْلاهَا: قَوْلُ لا إله إِلا اللهُ.

♦ وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ.

---

(١) **الإيمان في اللغة**: ليس مجرد التصديق الجازم فحسب، وإنما يكون معه شيءٌ زائد على مجرد التصديق وهو الإقرار، والإقرار لا يكون إلا بتصديقٍ، فالإيمان في الشرع له حقيقة شرعية لا بد من معرفتها، فلفظ الإيمان إذا جاء في الشرع في الآيات والأحاديث إنما يُفسر بما أراده الله ﷻ من هذا اللفظ. **وفي الشرع:** الإيمان له معنيان معنًى عام ومعنًى خاص فإذا انفرد عن الإسلام فُسِّرَ بالمعنى العام وهو اعتقاد بالجنان وقولٌ باللسان وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والخاص هو التصديق والاعتقاد بما جاء من شرع الله جل وعلا. فالإيمان يطلق على العمل الباطن، والإسلام يطلق على العمل الظاهر.

(٢) **(بِضْعٌ)** بكسر الباء اسمٌ من أسماء العدد من ثلاثةٍ إلى تسعة **(وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً)**، **(شُعْبَةً)** فُعْلَة، وهي الطائفة والخصلة ويدخل تحتها أفرادٌ من الخصال، وهنا أورد المصنف رواية مسلم «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ»، وعند البخاري «بضع وستون»، وفي رواية لمسلم على الشك «بضع وستون» أو قال: «بضع وسبعون». **قال ابن حجر:** وترجيح رواية بضع وسبعون لكونها زيادة ثقة كما ذكره الحليمي ثم عياض لا يستقيم إذ الذي زادها لم يستمر على الجزم بها لا سيما مع اتحاد المخرج، وبهذا يتبين شفوف نظر البخاري وقد رجح ابن الصلاح الأقل لكونه المتيقن. وقال قبل ذلك: لكن يرجح بأنه المتيقن-أي الأقل وهي رواية بضع وستون-وما عداه مشكوك فيه.

♦ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمان(١).

أركان الإيمان

♦ وأركانه ستة(٢):

- أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ(٣).

---

(١) فأشار إلى أن خصال الإيمان منها قول باللسان، ومنها ما هو عمل بالجوارح، ومنها ما هو قائم بالقلب. ولا شك أن الإيمان يزول بزوال هذا القول وهو لا إله إلا الله، لأنها كلمة التوحيد، وأدنى هذه الشعب إزالة الأذى، وهو عملٌ، ويكون داخلاً في مسمى الإيمان، لكن زوال هذه الشعبة لا يؤدي إلى زوال الإيمان من أصله.

و(الحياء): صفةٌ انفعالية تبعث على فعل الخير واجتناب القبيح (شُعْبَةٌ) أي خصلة (مِنَ الْإِيمَانِ) من للتبعيض (مِنَ الْإِيمَانِ) يعني هو عملٌ قلبي وجعله بعضًا من الإيمان لأن المستحيي ينقطع بحيائه عن المعاصي، ولا شك أن الإيمان فعل وكَفّ، فعلٌ للطاعة وكفّ عن المعصية، ولذلك نقول يزيد وينقص يزيد بالعمل بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهذا الذي ذكر بالأركان الثلاثة القول والعمل والاعتقاد هو الإيمان بالمعنى العام.

(٢) أي الإيمان بالمعنى الخاص الذي يطلق على العمل الباطن، وأركان جمع ركن، والركن هو الذي لا يقوم الشيء إلا به، فإذا اختل أي ركنٌ من هذه الأركان الستة التي سيذكرها أدى إلى زوال وارتفاع وصف الإيمان عنه.

(٣) الركن الأول: الإيمان بالله: وهذا أعظم أركان الإيمان، وهو أصل الأصول والمراد به الإيمان بربوبية الرب جل وعلا وأسمائه وصفاته وألوهيته فيتضمن أربعة أشياء:

الأول: الإيمان بوجوده تعالى، وهذا داخل في مفهوم الإيمان بالربوبية، ولكن ينص عليه بأن ثم من أنكر ولو استكبارًا وجود الرب جل وعلا. الثاني: الإيمان بربوبيته.

الثالث: الإيمان بأسمائه وصفاته. الرابع: الإيمان بألوهيته.

- وَمَلَائِكَتِهِ(١).

- وَكُتُبِهِ(٢).

---

(١) **الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:** أن تؤمن بجميع الملائكة، وأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، نؤمن بهم إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي، وتعييناً في التعيين، كما ورد في الكتاب والسنة: كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك وملك الموت، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، وهم عالم غيبي خلقوا من نور، وعددهم كثير لا يحصيهم إلا الله. **والإيمان بهم يتضمن أربعة أشياء:**

**الأول: الإيمان بوجودهم** وأنهم مخلوقون.

**الثاني: الإيمان بأسمائهم** ممن علمنا الله تعالى أو نبيه اسمه كجبرائيل، وكذلك من لم نعلم اسمه حينئذٍ نؤمن به على جهة الإجمال.

**الثالث: الإيمان بصفاتهم**. بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبرائيل وقد أخبر النبي -ﷺ- أنه رآه هل صفته التي خُلِقَ عليها وله ست مائة جناح قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم، والتهاويل هي الأمور المختلفة الألوان.

**الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم ووظائفهم** التي ثبتت بالنصوص.

(٢) **الركن الثالث: الإيمان بالكتب**، والمراد بها الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على رسله، والمراد بالإيمان بها: التصديق الجازم بأن الكتب كلها مُنَزَّلَةٌ من عند الله تعالى على رسله إلى عباده بالحق والهدى. وهذا الإيمان يكون إجماليًّا في الإجمال، وتفصيليًا في التفصيل، يعني: من سَلَّمَ بأن ثَمَّ كتب أنزلها الله تعالى على رسله بالحق والهدى واكتفى بهذا قد وُجِدَ عنده الإيمان الإجمالي، لكن لو سُمِّيَ له منها الزبور وأنكر كفر لماذا؟

- وَرُسُلِهِ(١).

---

لأنه يجب الإيمان بالإجمال في الإجمالي، والتفصيل عند التفصيل، فإذا سُمِّيَ وذكر له من الكتاب والسنة شيئًا مخصوصًا حينئذٍ وجب الإيمان به، فإن أنكره فهو مكذبٌ فحينئذٍ يكون مرتدًا عن الإسلام. **فالإيمان بالكتب يتضمن أربعة أشياء:**

**الأول:** الإيمان بأنها منزلة من الله تعالى.

**الثاني:** الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

**الثالث:** التصديق بما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يحرف وما لم يبدل من أخبار الكتب السابقة، مثل الرجم فإنه من الأخبار التي لم تحرف فيما حرف من التوراة.

**الرابع:** العمل بأحكام ما لم ينسخ، وهذا بالنسبة لكتابنا وهو القرآن، وما لم ينسخ من أخبار الكتب السماوية السابقة مثل الرجم فإن الرجم ثبت في شريعتنا وهذا دليل على أنه لم ينسخ. والكتب السابقة كلها نسخت بالقرآن العظيم الذي تكفل الله بحفظه؛ لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة. ويترتب على ذلك أنه لا يجوز التحاكم إلى شيء منها.

**(١) الركن الرابع، وهو الإيمان بالرسل**، والرسل جمع رسول، وهو: من بعثه الله إلى قوم وأنزل عليه كتاباً، أو لم ينزل عليه كتاباً لكن أوحى إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله. وأما النبي ﷺ فهو: من أمره الله أن يدعو إلى شريعة سابقة دون أن ينزل عليه كتاباً، أو يوحي إليه بحكم جديد ناسخ أو غير ناسخ، وعلى ذلك فكل رسول نبي وليس كل العكس، وقيل هما مترادفان، والأول أصح. **والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:**

**الأول:** الإيمان بأن رسالتهم حق من عند الله تعالى، وأنهم لا يأتون بشيء من عند أنفسهم كما قال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾. [النجم: ٣]

**الثاني:** الإيمان بن علمنا اسمه منهم، وأن هناك رسلاً نؤمن بهم إجمالاً ولا نعرف أسمائهم؛ إلا القليل.

- وَالْيَوْمِ الآخر(١).

- وبالقدر خَيْرِهِ وَشَرِّهِ(٢).

◘ وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ:

---

**الثالث:** تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

**الرابع:** العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد ﷺ.

**(١) الركن الخامس، وهو الإيمان باليوم الآخر.**

والمراد به يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الخلق للحساب والجزاء.

وسمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده حيث يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

**والإيمان باليوم الآخر لا يتم إلا بثلاثة أمور:**

**الأول:** الإيمان بالبعث.

**الثاني:** الإيمان بالحساب والجزاء.

**الثالث:** الإيمان بالجنة والنار. ويلتحق بذلك: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت.

**(٢) الركن السادس: الإيمان بالقدر.**

والمراد بالقدر: تقدير الله تعالى لما سيكون حسب ما سبق به علمه واقتضته حكمته ﷻ.

**والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:**

**الأول:** الإيمان بعلم الله تعالى، وأنه عالم بما كان وما يكون وكيف يكون.

**الثاني:** الإيمان بالكتابة وأن الله كتب ما علم أنه كائن إلى يوم القيامة.

**والثالث:** الإيمان بأنه لا يحصل في هذا الكون إلا ما شاء الله.

**والرابع:** الإيمان بأن الله جل وعلا خلق الخلق وأعمالهم وأفعالهم.

قال الناظم في هذه الأمور: علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتكوين.

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] (١).

◘ ودليل القدر:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] (٢).

---

(١) يعني: ليس البر في التوجه إلى جهة المشرق أو المغرب، ولكن البر الحقيقي في الإيمان وتوابع الإيمان من الأعمال الصالحة، أما مجرد الاتجاه فهذا لا يدل على المقصود.

وإلا فقد ذكر العلماء أن اليهود يتجهون إلى المغرب، والنصارى يتجهون إلى المشرق.

ولكن الله نفى أن يكون هذا هو البر؛ لأنهم لم يحققوا الإيمان بالله والملائكة والكتاب والنبيين..

**والبر:** اسم جامع لكل عمل من أعمال الخير من العقائد والأعمال.

**وقد نقل ابن كثير** في "تفسيره" عن سفيان الثوري أنه قال: "هذه أنواع البر كلها".

**وقال ابن كثير:** "من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها. وأخذ بمجامع الخير كله.

(٢)أي: إنا خلقنا كل شيء من المخلوقات العلوية والسفلية بتقدير سابق لخلقنا له.

وذلك بكتابته في اللوح المحفوظ فهو يقع كما كتب بوقته وقدره، وجميع ما اشتمل عليه من الصفات.

**قال ابن كثير:** يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها.

وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتة على الفرقة القدرية الذين نبغوا في آواخر عصر الصحابة.

## ◆ المرتبة الثالثة: الإحسان[1].

تعريف الإحسان

ركن واحد[2].

**وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.**

---

**(١) الإحسان في الأصل نوعان:**

**إحسان في عبادة الخالق وهو المراد هنا.**

**وإحسان في حقوق الخلق، وهو نوعان:**

**الأول: إحسان واجب.**

وهو أن تقوم بحقوقهم الواجبة على أكمل وجه كبر الوالدين وصلة الأرحام والإنصاف في جميع المعاملات.

و يدخل في هذا النوع الإحسان إلى البهائم ثم الإحسان في ذبحها.

**والثاني: الإحسان المستحب:**

وهو ما زاد على الواجب من بذل نفع بدني أو مالي أو علمي، فيساعد الإنسان من احتاج إلى مساعدته ببدنه أوبماله أو بعلمه، فهذا كله داخل في باب الإحسان.

**(٢) والإحسان (ركن واحد).**

**وهو:(أن تعبد الله)** أي تتعبد الله بأي عبادة كانت **(كأنك تراه)** أي : كأنك ترى ربك الذي قمت بين يديه.

**(فإن لم تكن تراه)** أي : إن لم تعبده على استحضار الدرجة الأولى وهي درجة المراقبة، **(فإنه)** أي : فاعلم أنه **(يراك)** أي مطلع على جميع خفاياك.

**فهذه درجتان:** إحداهما أكمل من الأخرى، فإن لم تحصل عبادة الله كأنك تشاهده، فاعبده على مرأى من الله وأنه بصير عليم بجميع ما تفعله.

■ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨] (١). وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠] (٢).

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] (٣).

---

(١) وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ ربهم بفعل الطاعات، وترك المحرمات ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ في عبادتهم ربهم، وإحسانهم للخلق، فالله مع عباده المتقين، والذين هم محسنون في العمل يحفظهم ويؤيدهم، وهذه معية خاصة.

(٢) وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ في جميع أمورك ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فإنه مؤيدك وحافظك، ثم نبهه على الاستعانة باستحضار قرب الله والنزول في منزل الإحسان فقال: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ﴾ في هذه العبادة العظيمة التي هي الصلاة ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ إليها.

(٣) وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِى شَأْنٍ﴾ في أي عمل من الأعمال ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ أي وما تتلو أيَّ آية من القرآن ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ صغير أو كبير، أنت ولا أمتك ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ أي: نحن مشاهدون ومطلعون على كل ذلك، وعلى جميع أحوال العباد في حركاتهم وسكناتهم ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ وقت شروعكم فيه، واستمراركم على العمل به إلى حين انقضائكم منه، كل ذلك مطلعون عليه.

◘ وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ﷺ «قَالَ بينما نحن جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ، وَأَنَّ محمدا ﷺ رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا، قَالَ: صَدَقْتَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائكتِهِ وكُتبِهِ وَرُسلِهِ واليَومِ الآخرِ وبالقدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: أخبرني عَنْ أَمَارَاتِهَا قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِيًّا فَقَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم (١).

(١) رواه مسلم برقم(٨).

اسمه ونسبه ﷺ

◆ الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ(١).

---

(١) **ومعرفته -ﷺ- تنتظم أشياء عديدة** : منها معرفة اسمه ونسبه وعمره وبقائه في الدنيا ووفاته ومعرفة ما نبئ به وما أرسل به وبلده ومهاجره ، ومنها وهو أعظمها: معرفة ما بعث به وغير ذلك مما ذكر المصنف وغيره.

**وهو (محمد)** ومعناه: الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره، وله عدة أسماء: هذا أشهرها وأفضلها وأعظمها، ولقبه أبو القاسم ، ووالده **(عبد الله)** ، وجده **(عبد المطلب)** واسمه شيبة ، ويقال له : شيبة الحمد ، لجوده وجماع أمر قريش إليه، وإنما سمي بعبد المطلب ، لأن عمه المطلب قدم به مكة وهو رديفه وقد تغير لونه بالسفر فحسبوه عبداً له فقالوا هذا عبد المطلب أي : عبدٌ للمطلب، فعلق به هذا الاسم، ووالد عبد المطلب هو **(هاشم)** واسمه عمرو، وإنما سمي هاشماً، لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في أعوام الجوع **(وهاشم)** قبيلة **(من قريش)** أي : من قبيلة قريش وهي أشهر وأشرف قبائل العرب ، **(وقريش)** أصلها **(من العرب)** فهي قبيلة عربية ، **(والعرب من ذرية)** أي من سلالة **(إسماعيل بن إبراهيم الخليل)** أبو الأنبياء **(عليه وعلى نبينا)** محمد **(أفضل الصلاة والسلام)** فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد كبر سنه وهبه الله بولد سماه إسماعيل ، وإسماعيل هو الملقب بالذبيح، وعاش مع العرب ، ثم من بعده وهِبَ: إسحاق ، وإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ خرج من نسله نبينا محمد -ﷺ- ، وإسحاق خرج بقية الأنبياء من نسله فلم يأت نبي بعد إبراهيم إلا من ذريته فقط.

## عمره ﷺ

♦ **وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وعشرون نبيًا رسولًا**(١).

---

لذا سمي إبراهيم أبو الأنبياء، لأن الأنبياء من بعده من نسله، إما من طريق إسماعيل وهو محمد -ﷺ- أو من طريق إسحاق، وهم جميع الأنبياء عدا نبينا محمد -ﷺ-، قال النبي -ﷺ-: " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم " رواه مسلم. فنبينا أشرف الناس نسباً، فهو هاشمي قرشي وهكذا الرسل تبعث في أكرم قومها أحساباً.

**(١)** ولد ﷺ عام الفيل يوم الاثنين، وفي يوم الاثنين بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر إلى المدينة، وفيه توفي ، قال -ﷺ- : " ذلك يوم ولدت فيه، وأنزل علي فيه "رواه مسلم.

ولا يجوز أن يقام احتفال بمولده -ﷺ- لأنه ﷺ لم يقم لمولده في حياته احتفالاً، والصحابة رضي الله عنهم وهو أحب الناس إليهم لم يفعلوا ذلك، ولأنه يجهل تاريخ ولادته من الشهر، وتوفي أبوه وهو حمل، وكان عند جده عبد المطلب، ثم عند عمه أبي طالب ، وتزوج خديجة وله خمس وعشرون سنة، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية، وكان النبي -ﷺ- قبل البعثة يلقب بالأمين.

**(وله من العمر)** الذي عاشه في هذه الدنيا **(ثلاث وستون سنة)** هي مجموع عمره من ولادته إلى مماته **(منها)** أي: من هذه السنين **(أربعون)** سنة **(قبل النبوة)** فلم يوح إليه إلا وعمره أربعون عاماً، وهذا سن اكتمال الأشد. ومن عمره **(ثلاث وعشرون)** سنة **(نبياً)** يوحى إليه **(ورسولاً)** مأموراً بالرسالة والتبليغ. وزمن نبوة نبينا محمد -ﷺ- ورسالته ثلاث وعشرون سنة، مكث منها في مكة ثلاثة عشر عاماً، وفي المدينة النبوية عشرة أعوام، وكان عمره مباركاً أظهر الله به الدين، وتمت به الشريعة، ودخل الناس في الدين أفواجاً.

## نبوته ورسالته وبعثته ﷺ

♦ نبئ بإقرأ.

♦ وأرسل بالمدثر(١).

♦ وَبَلَدُهُ مَكَّةُ(٢).

♦ بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، ويدعو إِلَى التَّوْحِيدِ(٣)

---

لاقى خلال تلك السنين خوفاً وجوعاً وابتلاءً، وتسلط الأعداء عليه، وقدموا إليه في بلد مهاجره لقتاله، فصبر وجاهد حتى بلَّغ رسالة ربه، عليه من الله أفضل الصلاة وأتم السلام.

**(١) (نبئ)** أي : أنزل عليه الوحي مأموراً بالنبوة يوم الاثنين في رمضان بغار حراء ، أمره الله بالنبوة بصدر سورة العلق، ورجع بها يرجف فؤاده فقالت له خديجة : " كلا، والله لا يخزيك الله أبداً " متفق عليه. **(وأرسله)** الله بعد فترة الوحي بصدر سورة (المدثر) فإنه لما جاءه الملك فرق منه أي خاف فقال : دثروني فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ فكانت أول ما أنزل عليه بعد فترة الوحي، ثم حمي الوحي وتتابع، فشمر حينئذ عن ساق العزم ودعا إلى الله.

**(٢) (وبلده مكة)** أشرف البقاع عند الله، بها ولد ونشأ، إلا ما كان منه وهو مع مرضعته السعدية في البرية ، ثم رجع إليها في حضانة جده، ثم عمه، وأوحي إليه بها، وبقي بها بعد أن أوحي إليه ثلاث عشرة سنة ، **(ثم هاجر إلى المدينة)** بعد أن همُّوا بقتله فتغيب في الغار، ثم سار هو وأبو بكر مهاجراً إلى المدينة ، وذلك بعد أن بايعه أهلها على النصرة والمؤازرة ، وأرخت الأمة تاريخها من مهاجره -ﷺ- .

**(٣)** ذكر المصنف رحمه الله جملة مما يُعرف به النبي -ﷺ- ، وأعظمها وأعلاها معرفة ما بعث به النبي -ﷺ- فإنه **(بعثه الله بالنذارة عن الشرك)** يحذر منه وينذر من وباله في الدنيا والآخرة ، لأنه يحبط العمل ، وصاحبه مخلد في النار ، وبعثه الله **(يدعو إلى التوحيد)**

◘ وَالدَّلِيلُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[المدثر: ١ - ٧].

♦ وَمَعْنَى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إلى التوحيد.

♦ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

♦ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ من الشِّرْكِ.

♦ ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾، الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ.

وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وأهلها وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا.

---

وإفراده وحده جل وعلا بالعبادة.

**وقدم المصنف** النذارة عن الشرك قبل الدعوة إلى التوحيد، لأن هذا مدلول كلمة التوحيد لا إله إلا الله، فبدأ بجانب الشرك لكون العبادة لا تصح مع وجود المنافي.

فلو وجدت، والمنافي لها موجود لم تصح.

ثم ثنى بالتوحيد، لأنه أوجب الواجبات، ولا يرفع عمل إلا به، وإذا خالط الشرك العمل أفسده وأحبط العمل.

**(والدليل)** على أن الله بعث نبيه محمداً -ﷺ- لينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد.

**(قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾** أي : المتدثر بثيابه المتغشي بها من الرعب الذي حصل له من رؤية الملك عند نزول الوحي **(قم)** أي: من دثارك **(فأنذر)** ، وهذه أول آية أرسل بها، وأول أمر طرق سمعه في حال إرساله، وذلك أنه لما رأى الملك الذي جاءه بحراء حين أنزل عليه (اقرأ) رعب منه فأنزل إلى أهله فقال : دثروني فأنزل الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. متفق عليه.

وبهذا حصل الإرسال كما حصل بإقرأ النبوة.

♦ أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ(١).

وَبَعْدَ الْعَشْرِ(٢):

♦ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

---

(١) **(أخذ)** النبي -ﷺ- **(على هذا)** النهج في بيان الشرك ، والإنذار عنه، والتحذير منه، وبيان التوحيد، والدعوة إليه، **(عشر سنين)** وهو **(يدعو إلى التوحيد)** وينذر عن الشرك.

قبل فرض الصلاة التي هي عماد الدين، وقبل بقية الشرائع وبهذا يتبين لك أن حقيقة ما بعث به النبي -ﷺ- ودعت إليه الرسل كلهم، وهو الإنذار عن الشرك والتحذير منه، والدعوة إلى التوحيد وبيانه وتوضيحه.

(٢) **(وبعد العشر)** السنوات من بدء النبوة والرسالة وهو في مكة .

**(عرج به إلى السماء)** السابعة، فأسري بجسده وروحه جميعاً من المسجد الحرام على البراق، إلى بيت المقدس، يقظةً لا مناماً.

ثم صعد به جبريل إلى السماء على المعراج ،كلما مر بسماء تلقاه مقربوها، حتى جاوزهم إلى سدرة المنتهى، حتى سمع صريف الأقلام ، فبلغ من الارتفاع والعلو إلى ما الله به عليم ، ودنا من الجبار وكلمه بلا واسطة، فأوحى إليه ما أوحى.

**(وفرضت عليه الصلوات الخمس)** وهو في السماء. وكان أول ما فرضت خمسين صلاة، ولم يزل يتردد بين موسى وبين ربه حتى وضعها إلى خمس وقال :"**هي خمس** أي : في العدد ، **وهي خمسون** أي : في الأجر، **الحسنة بعشر أمثالها** " متفق عليه. ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط الأنبياء معه، وأمَّهم في بيت المقدس، ثم ركب البراق ورجع إلى مكة من ليلته، وحدثهم عما رآه في مسيره. **(وصلى في مكة)** الصلوات الخمس المفروضة **(ثلاث سنين)** بعد أن عرج به.

وفرضت عليه قبل الهجرة.

♦ وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثلاث سنين.

♦ وبعدها أمر بالهجرة إلى الْمَدِينَةِ(١).

♦ وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ(٢).

♦ وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

---

(١) (وبعدها) أي : بعد الثلاث عشرة سنة من بعثته.

(أمر بالهجرة) من مكة (إلى المدينة) بمفارقة المشركين وأوطانهم، بحيث:

١ - يتمكن من إظهار دينه. ٢ - والدعوة إلى الله في غير بلادهم.

فإن ذلك واجب وفرض، لأن أهل مكة منعوه أن يقيم دعوته، فاستقبله الأنصار في المدينة النبوية، وآووه ونصروه وآزروه، حتى بلَّغ دين ربه فانتشر في الآفاق.

(٢) **وتعريف** (الهجرة) هي (الانتقال) والتحول (من بلد الشرك إلى بلد الإسلام).

والمهاجرة في الأصل: مصارمة الغير ومقاطعته ومباعدته.

**وسمي المهاجرون مهاجرين**، لأنهم هجروا ديارهم ومساكنهم التي نشئوا بها لله.

ولحقوا بدار ليس لهم فيها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة.

**وشرعت الهجرة:** حفظاً للدين من الزوال، أو النقصان، وفراراً به من الفتن، ولخشية عدم إظهار شعائر الإسلام. ومن له قدرة على الهجرة من ديار الشرك ولم يهاجر فقد ظلم نفسه ووقع في الإثم. (وهي) أي: الهجرة (باقية) وواجبة (إلى أن تقوم الساعة) فلا تسقط في أيِّ زمن عن هذه الأمة بل وجوبها باق إلى قيام الساعة، فمن كان مسكنه بديار المشركين وهو قادر على التحول عنهم، وجب عليه الهجرة من تلك الديار.

■ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (١) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ

---

(١) (والدليل) على وجوب الهجرة (قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ، وقد نزلت الآية في أناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا فقال الله عنهم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أراد ملك الموت وأعوانه الموكلين بنزع الروح ، وحال من تنزع أرواحهم أنهم من ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾) بترك الهجرة من ديار الشرك ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: لم مكثتم ههنا وتركتم الهجرة؟ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، يعود معناه إلى: لم مكثتم ههنا وتركتم الهجرة؟ وفي أي فريق كنتم؟ والملائكة تعلم في أي فريق كان فيه التاركون للهجرة بعد ما وجبت عليهم، وإنما تقول الملائكة لهم ذلك توبيخاً لهم، أي الذين تركوا الهجرة.

﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: عاجزين عن الهجرة لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض، وهم غير صادقين في ذلك ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي : قالت لهم الملائكة معاتبة لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ وهذا استفهام تقرير أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فلم لا تهاجروا إلى المدينة فتخرجوا من بين أهل الشرك؟ فلم يعذروا بترك الهجرة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعاً وفسحة في الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم : ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: بئس المصير إلى جهنم، وهذا فيه أن تارك الهجرة بعد ما وجبت عليه وهو قادر عليها، أنه مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب. ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: الضعفاء العاجزون عن الهجرة ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ جمع وليد ووليده، والوليد: الغلام قبل أن يحتلم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أي لا يستطيعون مفارقة المشركين، فلا يقدرون على حيلة،

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦]. قال البغوي رحمه الله: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يُهَاجِرُوا نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ(١).

---

ولا على نفقة، ولا على قوة للخروج ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يعرفون الطريق إلى الخروج من مكة إلى المدينة، حيث كانت آنذاك بلد الإسلام، ولا يوجد بلد إسلام سواها ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ يتجاوز عن المستضعفين وأهل الأعذار بترك الهجرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ متصفاً بالعفو والتجاوز عن السيئات ﴿غَفُورًا﴾ للخطايا والأوزار.

قال ابن كثير: "نزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية".

(١) ودليل آخر على أن الهجرة واجبة على القادر عليها (قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحل لكم المقام فيه، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله ولم تقدروا على تغييره، فاهربوا منه إلى أرضي الواسعة التي تسع جميع الخلائق. فإذا كان الإنسان في أرض لم يتمكن من إظهار دينه، فيها فإن الله قد وسع له الأرض ليعبده فيها كما أمر، وأن يوحده في أرضه الواسعة، وكذلك يجب على كل من كان ببلد تعمل

◘ وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: **قَوْلُهُ** ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلا تَنْقَطِعِ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مغربها»(١).

---

فيها المعاصي ولا يمكنه تغييرها أن يهاجر منها ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ أي أظهروا لي العبادة في أرضي الواسعة التي خلقتها وما عليها لكم، وخلقتكم عليها لعبادتي.

**(قال)** أبو محمد الحسين بن مسعود **(البغوي** رحمه الله**)** في تفسيره الذي قال عنه ابن القيم: اجتمعت الأمة على تلقي تفسيره بالقبول، وقراءته على رؤوس الأشهاد من غير نكير.

**(سبب نزول هذه الآية)** كما قال مقاتل والكلبي نزلت **(في)** ضعفاء **(المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان)**.حكاه الشيخ بمعناه عن البغوي. فأفاد أن تارك الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر، لكنه عاصٍ بتركها، فهو مؤمنٌ ناقص الإيمان عاص من عصاة الموحدين المؤمنين. وإذا كانت الهجرة مأموراً بها من بلاد الكفر، دل هذا على تحريم السفر إلى بلادهم، إلا لحاجة تدعو إلى ذلك كعلاج، ونحوه. **ولا يجوز السفر إليهم عند الحاجة إلا بثلاثة شروط**: ١- أن يكون عنده علم، يمنعه مما يرد عليه من الشبهات.

٢- أن يكون عنده دين، يمنعه مما يرد عليه من الشهوات.

٣- أن يتمكن من إظهار دينه والقيام بعبادة ربه كما أمر الله، وأن يحذر كل الحذر من موالاة المشركين. وإذا لم يتمكن المسلم من الهجرة، فعليه أن يظهر شعائر دينه، من الصلاة ونحوها، بقدر استطاعته، ويجب عليه أن يدعو غير المسلمين إلى هذا الدين.

(١) **(والدليل على)** أن **(الهجرة)** مفروضة على هذه الأمة، وأنها باقية إلى قيام الساعة.

**(من السنة قوله -**ﷺ**-)** في الحديث الذي رواه أبو داود عن معاوية -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: "**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها** ".

بداية تشريع بقية شرائع الإسلام

♦ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ مِثلِ الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

♦ وَتُوُفِّيَ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ(١) وَدِينُهُ بَاقٍ. وفاته ﷺ

♦ وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

♦ وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

---

**(لا تنقطع)** أي لا يسقط وجوب **(الهجرة)** من بلد الشرك إلى بلد الإسلام **(حتى تنقطع التوبة)** أي : حتى لا تقبل التوبة ممن تاب. فدل الحديث على أن التوبة مادامت مقبولة فالهجرة واجبة بحالها. وأما قول النبي -ﷺ- : " **لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا** " متفق عليه.

فالمراد لا هجرة بعد فتح مكة منها، إلى المدينة، حيث كانت مكة بعد فتحها بلد إسلام، وقد كانت الهجرة من مكة مأموراً بها لما كانت بلد كفر، أما وقد كانت بلد إسلام فلا.

**(١) (توفي صلوات الله وسلامه عليه)** في الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. ولا شيء من الأمور فيه سعادة العبد في الدنيا والآخرة إلا بينه وأوضحه أجل بيان. قال أبو ذر -رضي الله عنه-:" ما ترك النبي -ﷺ- طائراً يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً". رواه أحمد.

♦ بَعَثَهُ اللهُ فِي النَّاسِ كَافَّةً.

♦ وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ.

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

♦ وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ.

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

◘ وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠ - ٣١].

## البعث والحساب والجزاء

♦ وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ.

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧ - ١٨].

♦ وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ.

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰٓ ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

♦ وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ.

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

حكمة إرسال الرسل

♦ وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

♦ وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

◘ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

♦ وكل أمة بعث الله إليهم رسولا من نوح إلى محمد يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

♦ وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله: مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ(١).

تعريف الطاغوت

♦ وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ.

وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ(٢):

- إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ(٣).

---

(١) تعريف (الطاغوت) هو: (ما تجاوز به العبد حده) أي: قدْره الذي ينبغي له في الشرع، وصار بخروجه منه وتجاوزه طاغوتاً، سواء كان هذا الطغيان، أو التعدي والتجاوز (من معبود) مع الله، بأي نوع من أنواع العبادة.

(أو) من (متبوع) في معاصي الله ويدخل في ذلك علماء السوء الداعين إلى الكفر والضلال، والكهان والسحرة الذين يُتَّبَعون فيما يقولون.

(أو) من (مطاع) من دون الله في التحليل والتحريم، بأن كان يحرم ما أحل الله أو يحل ما حرم الله. ثم قال ابن القيم: فإذا تأملت طواغيت العالم، فإذا هي لا تخرج عن هذه الثلاثة. وهي بنصها في أول كتاب أعلام الموقعين لابن القيم.

(٢) بالاستقراء والتأمل.

(٣) وهو رأسهم الأكبر، فقد تجاوز ما أمر الله به وعصاه، وارتكب ما نهاه عنه، وهو الداعي إلى عبادة غير الله، فهو أول الطواغيت قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس:٦٠] وقد (لعنه الله) فهو مطرود مبعد عن رحمة الله كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص:٧٨].

- وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ(١).
- وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ(٢).
- وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ(٣).
- وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ(٤).

---

(١) (من عُبِد وهو راض) بتلك العبادة الصادرة من العابد بأي نوع من أنواعها ، فهو طاغوت من رؤساء الطواغيت وكبرائهم، سواء عبد في حياته، أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك، قال ﷻ:﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء:٢٩].

(٢) الثالث من الطواغيت: (من دعا الناس) وحثهم (إلى عبادة نفسه) ممن يقر الغلو والتعظيم بغير حق، كفرعون وأهل الضلال الذين غرضهم العلو في الأرض والفساد، واتخاذهم أربابا، والإشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم، كما قال تعالى إخباراً عن فرعون: أنه قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨] ، فمن دعا الناس إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه فإنه من رؤوس الطواغيت، سواء أجيب لما دعا إليه أم لم يجب؛ لأن العبادة لا تصرف إلا لله، فطغى هذا الطاغوت ودعا إلى صرف العبادة عن الله إلى نفسه، وهذا من أعظم البهتان.

(٣) (ومن ادعى شيئاً من علم الغيب) يعني الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، فهو الرأس الرابع من الطواغيت ،كالمنجمين والرمالين من الكهان ونحوهم ، فهم من الطواغيت، وما يزعمونه كذب وخديعة على عامة الناس.

(٤) وفيه تفصيل يذكره العلماء وهو أنه قد يكون كفرًا أكبر وقد يكون كفرًا أصغر، وهو ما يقال فيه كفر دون كفر، فمن اعتقد حل الحكم بغير ما أنزل الله أو أنه أحسن أو أفضل أو مساو له أو مثله أو نحو ذلك، وأما إذا لم يعتقد ذلك وحكم بغير ما أنزل الله لهواه فإنه ظالم.

◘ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا اللهُ(١).

---

أو حكم لشهوة أو رشوة أو نحوه، وهو يعتقد أن حكم الله أصلح وأنفع، وأن حكم غيره لا خير فيه فإنه فاسق.

(١) (والدليل) على أن الله افترض على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

(قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾) أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام، لكماله وقبول الفطرة له، ولأنه بيِّن واضح جليٌّ في دلائله وبراهينه، لا يحتاج أن يكره أحداً على الدخول فيه فمن هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوَّر بصيرته، دخل على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً.

**ولا منافاة بين هذه الآية والآيات الدالة على وجوب الجهاد**، لأن الجهاد مشروع لقتال كل من وقف في وجه الإسلام، أما أنه يلزم ويكره على الدخول في الإسلام فلا، لأنه قد ظهر وتميز الحق من الباطل، والإيمان من الكفر، والهدى من الضلال، بالآيات والبراهين الدالة على ذلك، فإذا تبين الرشد من الغي فإن كل نفس سليمة لابد أن تختار الرشد على الغي.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ بخلع الأنداد والأوثان ويتبرأ منها ومن أهلها، فقد حقق الركن الأول من ركني التوحيد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: " صفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها، وتكفِّر أهلها وتعاديهم ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ ويفرده بالعبادة ويخلص له جميع الأعمال، فقد حقق الركن الثاني من ركني التوحيد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : "ومعنى الإيمان بالله: أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم ، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم".

وَفِي الْحَدِيثِ(١): «رَأْسُ الأَمْرِ(٢): الإِسْلامِ وَعَمُودُهُ(٣): الصَّلاةُ،

---

فمن حقق ركني التوحيد وهما الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ أي: تمسك ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ وهي: التوحيد، والعروة هي: موضع شد اليد، والوثقى هي: القوية ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ أي لا تنفك ولا تنفصم، أي: قد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم **(وهذا معنى لا إله إلا الله)**، فإن معنى (لا إله) كفر بالطاغوت و(إلا الله) إيمان بالله واستسلام لأمره وشرعه، وبدأ بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله، لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت.

**(١) حسن بشواهده** كما في تحقيق مسند أحمد وغيره.

(٢) **(رأس الأمر)** يعني رأس الدين الذي جاء به النبي -ﷺ- هو **(الإسلام)** يعني شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن التزم بها دخل الإسلام. وأراد المصنف رحمه الله الاستدلال بهذا الحديث على أن لكل شيء رأسًا، فرأس الأمر الذي جاء به محمد -ﷺ- الإسلام، فمن انتسب إلى ما جاء به النبي -ﷺ- وادعى أنه من أمة الإجابة وقد فقد منه رأس الأمر وحقيقته وهو الإسلام، فليس من أمة الإجابة. والإسلام هو الملة والدين، فمن فُقِدَ منه فقد كذب وافترى في دعواه الاستجابة لله ورسوله.

**(٣) (وعموده)** أي الدين **(الصلاة)** هذا فيه عظم شأن الصلاة، وأنها من الدين بهذا المكان العظيم، وهو أن مكانها من الدين مكان العمود من الفسطاط (الخيمة)، فكما أن عمود الفسطاط إذا سقطت سقط الفسطاط، فكذلك إذا فقدت الصلاة، سقط دين تاركها ولم يبق له دين، لأن مجرد ترك الصلاة كفر مخرج من الملة. وهذا الحديث من الأدلة على أنه إذا تركها كسلاً فهو كافر، ومن الأدلة على أن من تركها كفر: قوله ﷺ: " بين الرجل وبين الشرك والكفر، ترك الصلاة " رواه مسلم، وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: " لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ". رواه مالك، وهي من أحب الأعمال إلى الله، وأول ما يحاسب عليها العبد من عمله يوم القيامة،

وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ[1]: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ». وَاللهُ أعلم.

(تمت الأصول الثلاثة)

(وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم).

---

وهي التي فرضها الله تعالى بنفسه ليلة المعراج فلم يجعل فيها بينه وبين محمد -ﷺ- واسطة. وهي أهم أمر الدين.

(١) (وذروة) الشيء أعلاه وأرفعه و(سنام) هذا الدين ورفعته وعزته هو في (الجهاد في سبيل الله) لأن به صيانة الدين وحمايته، وبه دعوة الناس إلى دين الله وإلزامهم بالحق، فهو ذروة سنامه من جهة ما تضمنه من حماية الدين والدعوة إلى الحق.

فالجهاد هو أعلى وأرفع خصال الدين، **قال ابن رجب**: وهذا يدل على أنه أفضل الأعمال بعد الفرائض. **وقال ابن دقيق العيد**: الجهاد لا يقاومه شيء من الأعمال.

وقد جاء رجل إلى النبي -ﷺ- فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد قال: " **لا أجده**، قال: **هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟** قال: ومن يستطيع ذلك ". رواه البخاري. وذلك لأن فيه بذل المهج التي ليس شيء أنفس منها، ولا يعادلها شيء البتة، فيبذل مهجته، ويبذل ماله لظهور الدين وتأييده، ولما فيه من جهاد الكفار والمنافقين، فبذلك استحق أن يكون من الدين بهذه المكانة. **قال شيخ الإسلام**: والجهاد عمل مشكور لصاحبه في الظاهر لا محالة، وهو مع النية الحسنة مشكور ظاهراً وباطنا، ووجه شكره نصره للسنة والدين. تم هذا التعليق في دار الحديث بدماج من عام ١٤٢٩.

ثم أعيدت مراجعته والزيادة عليه للطبع في العشرين من ذي الحجة من عام ١٤٤٢هـ.

والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطناً.

## الفهرس الموضوعي


مقدمة الشرح..... ٣
أربع مسائل عملية الواجب تعلمها..... ٥
الثلاث مسائل الواجب تعلمهن والعمل بهن..... ١٣
الأولى: توحيد الربوبية..... ١٣
الثانية: توحيد الألوهية ..... ١٥
الثالثة: الولاء والبراء..... ١٧
الأصل الأول..... ٢١
الخوف..... ٣١
الرجاء ..... ٣٢
التوكل..... ٣٣
الرغبة والرهبة والخشوع ..... ٣٥
الخشية ..... ٣٦
الإنابة ..... ٣٧
الاستعانة..... ٣٨
الاستعاذة..... ٤٠
الاستغاثة..... ٤١
الذبح..... ٤٢
النذر..... ٤٣
الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة ..... ٤٥
مراتب الدين ..... ٤٦
أركان الإسلام ..... ٤٦

معنى لا إله إلا الله..... ٤٨
معنى شهادة أن محمدًا رسول الله..... ٥٢
من شعب الإيمان..... ٥٥
أركان الإيمان..... ٥٦
تعريف الإحسان..... ٦١
الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ..... ٦٤
اسمه ونسبه ﷺ..... ٦٤
عمره ﷺ..... ٦٥
نبوته ورسالته وبعثته ﷺ..... ٦٦
الفهرس الموضوعي..... ٨١